بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ خاتم النبيين ، وعلى آلـهِ الطيبين ؛

قد فهمنا – أكرمك الله – ما ذكرت عن القوم الذين جرى بينهم الكلام والمناظرة فى وسواس الجن وإبليس ، عليه لعنةُ الله ؛ كيف يصل إلى الإنسان وكيفَ الأمر منه لنا، والعداوةُ التى قال الله ؛ عز وجل ، أنه يعد بنى آدم ويأمرهُمْ بالفحشاء (١) .

حكايـة موقف الناس من إبليس:

وذكرتَ أن قوماً قالوا : إن إبليس يلقى فى قلوب الإنس أمراً وعدةً ، وسوَّل لهم ، وهو – زعموا – شئ لا يدرون كيفيَّةَ وصول ذلك إلى قلوب الخلق ؛ واحتجوا بكتاب الله ، عز وجل ، فقالوا : قال الله عز وجل : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ** ﴾(٢) .

ثم قال ، عز وجل ، يحكى عنه – إذ قال : ﴿ **لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ** ﴾ (٣) ..!

ثم قال : ﴿ **الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾** ﴾ (٤) !

ثم قال إبليس – اللعين : ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴿١٧﴾** ﴾(٥) .

١٣٤ط / ثم قال : ﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾** ﴾ (٦) .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴿١٢٠﴾** ﴾ النساء / ١٢٠ – وقوله ، تعالى : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ** ﴾ البقرة / ٢٦٨ ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ النور / ٢١ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٨ .

(٣) سورة النساء آية ١١٩ .

(٤) سورة محمد آية ٢٥ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٦ .. وجاءت فى الأصل خطا هكذا ﴿ رب بما أغويتنى ... ﴾ .

(٦) سورة الحشر آية ١٦ .

قالوا : فقد نراه ها هنا يأمر ويعدُ ويوسوس بالقول ، وذلك أنه يصلُ - زعموا - إلى قلوبهم منه شئٌ ؛ ويلقى إليهم ، ولا يدرون - زعموا - كيفية وصوله إليهم ؟!!

وذلك أن الله ، عز وجل ؛ قال : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [1] وأنه - زعموا - : يجرى من الإنسان مجرى الدم [2] !

* **ثم قال آخرون** : صدق الله فى كتابه ، وهو كما قال الله ، عز وجل ؛ غير أن تأويل الآيات خلاف ماتأولتم ، فمن ثمَّ غلطتم ؛ إن إبليس ومن معه لا يقدرون على أن يلقوا فى قلوبنا شيئاً ، كما يلقى الشئُ فى الشئ ، ولا يصلُ إلى قلوبنا منه شئ ؛ ولا يأمرنا بشئ ، لا مشافهةً ولا خفاءً ولا سراً ولا علانيةً ؛ ولم يصل إلينا منهم شئ قط ؛ ولم نسمع بذلك منهم فى حالة ما .

وإنما وصلتنا الحكاية التى حكى [3] الله ، عز وجل ؛ فى كتابه على لسان نبيه، ﷺ ؛ فأبطلت لنا الحكاية من الله ، عز وجل ؛ وأخبرتنا أن إبليس ، ومن أطاعه من الجن يريدون منا إتيان المعاصى وارتكاب الفواحش؛ وأن ذلك إرادتهم منا ، وأنه يرضيهم عنا إتيان ذلك ؛ بحكاية الله ، عز وجل ، لنا ذلك فى كتابه أن ذلك من مرادهم ، فالحكاية الواصلةُ بنا الأمر منهم لنا ، كأمر الرجل لابنه ولغلامه : إفعل كذا وكذا [4] . . !

وبعد ؛ فأخبرنا عن الله ، عز وجل ، أَقَدَرَ على أن يوصِّل الأمرَ بالطاعة إلى قلوبنا، من غير سفير ولامعبِّر ولا حكاية ؟!

فإن قالوا : إبليس أقدر على ذلك من الله . . كفروا وخرجوا من ملة الإسلام .

وإن قالوا : الله أقدر على ذلك .

* * *

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٢) هذا معنى حديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى أكثر من موضع منها (كتاب الأحكام باب ٢١) ١٣ / ١٦٨ ، عن على بن حسين أن النبى ﷺ أتته صفية بنت حي ، فلما رجعت انطلق معها ، فمرَّ به رجلان من الأنصار ، فدعاهما ، فقال : إنما هى صفية . قالا : سبحان الله ! . قال : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » ، ورواه الدارمى ؛ ٢ / ٤١١ « كتاب الرقائق » باب « ٦٦ » ، وأحمد فى مسنده ؛ ٣ / ١٥٦ ، ٢٨٥ ، ٣٠٩ - ٦ / ٣٣٧ .

(٣) فى الأصل : حكا .

(٤) فى الأصل : كذى وكذى .

قصة الغلام الوحيد على الجزيرة :

قلنا لهم : فى رجل وامرأته ، كانا فى المركب ، ثم باق [١] بهم المركب ؛ فخرجا إلى جزيرة ، فكان الرجل من مرته [٢] ؛ فحملت غلاماً ، ثم بلغ الغلام ثلاث سنين ؛ ثم ماتا وتركاه [*] ، أيصلُ إلى قلبه الأمرُ بالصلاة والصيام وجميع الفرائض بلامخبر له ولا معبر؟!

ونحن ، فلم ندر ما الكتاب ولا الإيمان حتى [٣] أوحى الله ، عز وجل ، إلى رسوله، صلوات الله عليه وعلى الأخيار من ذريته ، فبلَّغ إلينا ما أمره الله ، عز وجل ؛ به من طاعته وفرائضه ؛ ونهانا عن معاصيه ؛ فإن فعلنا المعاصى كنا قد فعلنا كفعل الشيطان؛ وكنا مطيعين له ؛ لأنَّ ذلك إرادته وأمره ؛ وكذلك إذا فعلنا ما أمر الله ، عز وجل ، كنا قد أطعناه وفعلنا ما أراد منا . . !

* * *

* **وقال آخرون** : إنه ماكان من مشروب وملبوس ومنكوحٍ ، فهو من فعل النفس ، وما كان من قتل وعقوق الوالدين فهو من إبليس .

١٣٥و / وقد أكذبهم الله ؛ عز وجل ، حيث قال : ﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [٤] .

وقال فى ذكرموسى ، عليه السلام : ﴿ **فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ** ﴾ [٥] ، فقال : ﴿ **هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ** ﴾ [٥] ، يعنى كعمله .

تمت مسائل أبى إسحق ، أكرمه الله

---

(١) عطب وفسد .

(٢) كناية عن الجماع .

* هذه القصة مشهورة فى تاريخنا الفلسفى ،حيث تناولها ابن سينا وابن طفيل والسهروردى المقتول وابن النفيس ، وعرفت بقصة « حى بن يقظان » . وهى ذات طابع فلسفى ملخصه : هل يمكن أن يصل الإنسان إلى المعرفة بنفسه ، وهل يمكنه إدراك معرفة الله وتوحيده بلا وحى ولا رسالة ؟!..

(٣) فى الأصل : حتا .

(٤) سورة المائدة آية ٣٠ .

(٥) سورة القصص : آية ١٥ .

لا يؤخذ الدين بالظن :

الجـــواب ؛ قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه :

اعلم – أكرمك الله – أن هذه المخاطبة قد كثر فيها اختلاف الناس وقولهم ، وذهب كل منهم إلى مذهب ، على قدر عقله وظنه وخرصه ، والدين لا يكون بالظنّ ولا بالخرص ، وقد ذمَّ الله ، عز وجل ، قوماً في كتابه إذ أخبر أنهم على الخطأ والجهل ؛ فقال : ﴿ إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَإنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [1] ، وقال : ﴿ إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] وقال آخرون : ﴿ إن نَّظُنُّ إلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [3] ، ﴿ وَإنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [4] .

* * *

ينبغي الرجوع للكتاب والسنة :

وذلك – أكرمك الله – أن الخلق تركوا معدن الهدى ، واتبعوا الهوى ؛ فخالفهم الردى [5] ودانوا بالخطأ ، ومالوا إلى الدنيا وتقليد الرؤساء ؛ وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إلَى الرَّسُولِ وَإلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [6] ، وهذا قول الله ، عز وجل ، الذى لا يشوبه فساد ولا طعن أهل العناد ، وقد أخبر الله ، عز وجل ، أنه لو رُدَّ إلى حيث أراد وافترض لعُلمَ ؛ ولم تقع خُلفَة ولا مراء ولا جهل ولا خطأ .

واعلم – أكرمك الله – أن القوم الذين ذكرت عنهم الكلام فى أول كتابك ؛ الذين اعتقدوا أن إبليس ، عليه لعنة الله ؛ يقدرُ على أن يلقى ويوصل العدة والأمر بالفحشاء إلى قلوب بنى آدم ، فقد أخطؤا وغلطوا وضلوا عن سواء السبيل ، وأن القوم الذين ردوا عليهم و عابوا جهلهم ، أهل الصواب والرشد .

وقد فهمت ما احتجوا به ، وقد أحسنوا ، إلا أنهم لم يشبعوا المسائل ، ولم يقووا الاحتجاج ، حتى يشتفى السامع ويُقطع المخالف .

* * *

---

(١) سورة الأنعام : آية ١١٦ .
(٢) سورة النجم آية ٢٣ .
(٣) سورة الجاثية آية ٣٢ .
(٤) سورة النجم آية ٢٨ .
(٥) فى الأصل : الردا
(٦) سورة النساء آية ٨٣ .

قواعد ينبغى تقريرها :

واعلم – أكرمك الله – أن كل قول يعتقده قوم إذا انكسر بعضه وبان كسره ، وجب أن آخره ينكسر ، كما انكسر أوَّلُهُ ؛ لأنه لا يجوز أن يكون لله ، عز وجل ، حق فيه باطل ، ولا باطل فيه حق ؛ ولايجوز أن يكون الحق ينكسر بعضُه ويثبتُ بعضه ؛ وقد يجرى أن يرد عليك على ما شك فيه الجهال ، من الآيات التى ذكرت فيها إبليس، فى غير موضع من القرآن .

* * *

التأويل حسب معانى العربية وتصريفها :

فإذا صح كسرنا لذلك ؛ لزم أنَّ آخره على مجرى أوله ؛ وإلا طال الكتاب وملَّه ١٣٥ط / القارئُ والمستمعُ ؛ وما أجزأ قليلهُ ، وبان القطع لمن خالف فى أوَّل مسألة منه، لزم أنَّ آخره كأوَّله من المعنى ، والتأويل فى اللغة على مثل ما أنا مُفسِّرُه لك إن – شاء الله .

* * *

أثر الهوى فى هلاك الإنسان :

فافهم جوابى ، وقف على معانيه – أرشدك الله ووفقك – واعلم أن عامة الآيات ، التى اعتلوا بها ، تخرج على الهوى – وهو القائل [١] للإنسان لكل خطأ وردى [٢] وبلاء وظلم ، ولذلك قال الله ، عز وجل : ﴿ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [٣] .

فأخبرنا ، عز وجل ؛ أن الهوى هو الذى يُوقع فى المهالك ؛ ولم تصح دعوى [٤] من ادعى الوسوسة إلا بالمكابرة ، ومالا يصح بحجة .

وقال (عز وجل) [٥] : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٦] .

---

(١) أى الذى يدعو ويجعل الإنسان ، وهو من ، قَوَلَ – أو قيل .

(٢) فى الأصل : ردا .

(٣) سورة النازعات آية ٤٠ .

(٤) فى الأصل : دعوا .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) سورة ص آية ٢٦ .

ومما كان ينبغى للقوم الرادين على أهل الخطأ أن يقولوا لهم ، فى صفة الغلام المولود فى الجزيرة ، الذى لم يرَ [1] أحداً قط ، ولم يصل إليه أمرٌ بطاعةٍ ولا معصية ، ولا معرفة خير ولا معرفة شرٍ .

أخبرونا : هل يقدر إبليس يغويه ويضله ، أم لا يقدر (على) [2] ذلك ؟ .

فإن قالوا : إنه لا يقدر على أن يضله . لزمهم لنا عجز إبليس وضعفه ، وأنه لا يقدر أن يغوى أحداً من الخلق ولايضله ، ورجعوا عن قولهم ودعواهم فى إبليس أنه قادر على إضلال الخلق وإغوائهم .

وإن قالوا : إنه قادر على إضلال ذلك الغلام وإغوائه .

قلنا لهم : فأخبرونا عن إبليس مخيرٌ فى ذلك الفعل أم مجبرٌ عليه جبراً ؟!

فإن قالوا : إنه مجبورٌ عليه . لزمهم أن الله ، عز وجل ، البرئ من قولهم ، أنه أجبَر إبليس على إضلال ذلك الغلام ؛ وقد أخبرنا فى كتابه أنه لم يخلق إبليس إلا لطاعته لا لمعصيته ؛ إذ قال ، عز وجل ؛ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [3] .

* * *

يرسل الله الرسل لإقامة الحجة :

فكيف انتقض قوله ، وجبر إبليس على إضلال ذلك الغلام ، من قبل أن يبدأه بالخير ، ومن قبل أن يلزمه الله ، عز وجل ، حجة ، إذ قال : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥) ﴾ [5] !

فتراه قد عذَّب هذا الغلام لإضلال إبليس له من قبل أن يبعث إليه رسولاً ، ومن قبل أن يلزمه حجة واضحة ، وتراه قد بدأ بالشر قبل الخير ، وبالنقمة قبل النعمة ، وبالضلال قبل الهدى ؛ وبالسوء [6] قبل الإحسان ؟!..

وليس هكذا [7] وصف نفسه ، عز وجل ؛ إذ قال : ﴿ اللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) ﴾ [8] ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [9] .

---

(١) فى الأصل : يرى .
(٢) زيادة ليست فى الأصل .
(٣) سورة الذاريات آية ٥٦ .
(٤) سورة النساء آية ١٦٥ .
(٥) سورة الإسراء آية ١٥ .
(٦) فى الأصل : بالسواية .
(٧) فى الأصل : هكذى .
(٨) سورة البقرة آية ٢٠٧ .
(٩) سورة البقرة آية ١٨٥ .

فأى عسرٍ أعظم ، وأى بلاء أكبرمن أنه أقدر إبليس على ذلك الغلام الذى فى ١٣٦و/ الجزيرة بلا ذنب ولا جرمٍ ، فأضله وأغواه عن غير استحقاق !!

* * *

خلق الله إبليس لطاعته .. وهو من الجن:

وقد خلق الله إبليس أيضاً للطاعة ولم يخلقه للمعصية ، إذ قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [١] ، وإبليس فهو من الجن ، يصدق ذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴿٥٠﴾ ﴾ [٢] .

فتراه يخبرنا عن فسقه عن أمره باختياره ، ويلومنا عن اتخاذنا له أولياء ولذريته ، وذلك الاتخاذ هو اتباعنا لهم على معاصيهم ، وفعلنا للظلم كفعلهم .

* * *

عودة إلى قصة «حى بن يقظان»:

رجع الكلام إلى إضلال إبليس للغلام الذى فى الجزيرة .

فنقول لهم : أخبرونا حيث خلق الله إبليس للطاعة ، أليس عليه الطاعة لله ، عز وجل ؛ فريضةً ؟!

فإذا قالوا : بلى ، قلنا لهم : فأخبرونا عن إضلاله للغلام أهو طاعة لله ، عز وجل ، أو معصية ؟!

فإن قالوا : هو طاعة لله ، عز وجل . لزمهم - صُغَرةً أقمياء - أن إبليس مطيع لله ، عز وجل ، فى إضلال الخلق ، وأنه يوم القيامة ؛ (على طاعة) [٣] لا على معصية ؛ وفى هذا نقض القرآن ، والكفر بالرحمن والخروج من الإيمان .

وإن قالوا : إن إضلال إبليس للغلام هومعصية لله ، عز وجل . لزمهم أنه قد ترك ما خُلق له واتبع هواه ، وخالف خالقه ووجب عذابه بمعصيته ، وقالوا بالعدل .

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٢) سورة الكهف آية ٥٠ .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

ثم نقول لهم : أخبرونا أليس قد قال الله ، عز وجل : ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [1] ؟

فإذا قالوا : بلى [2] .

قلنا لهم : فأخبرونا عن ذلك الغلام الذى فى الجزيرة ، كيف يغويه إبليس ، وكيف يضله ، وكيف يضل غيره من جميع الخلق - على أنه ما لزم فى واحدٍ لزم فى جميع الخلق ، إذ القصة واحدة ؟ .

فلابد لهم أن يقولوا : إنه يبدوا لهم . فيردون على القرآن ، ويضلهم على وجه من الوجوه .

فإن ادعوا أمراً لا تقبله العقول ، ولاتقوم لهم به حجةٌ سقط قولهم ؛ إلا أن يدعوا أنه يقدر على الخلق ، كقدرة الله ، عز وجل ؛ على خلقه ..! (فيوجبوا) [3] خالقاً آخر قادراً قوياً مع الله ! . . فيلزمهم الشرك والخروج من فيه الإسلام كافةً ، لابد لهم من ذلك ، أو الرجوع عن الجهل .

فإن قالوا : إن الله ، عز وجل ، أقدره على ذلك ، وجعل له إليه السبيل .

* * *

هل أقدر الله عدوَّه على ما لم يعطه لأوليائه :

لزمهم أن الله ، عز وجل ؛ جعل لعدوه ، المخالف لأمره والعاصى له ، من القوة والمقدرة والسلطان ، ما لم يجعل لأوليائه ذلك ، وأهل طاعته من الأنبياء والمرسلين ؛ وأنه قد وَصَّلَ عدوّه وأمكنه من المنزلة الشريفة والمرتبة الرفيعة ، التى نال بها أولياء الله، عز وجل ؛ رسُلَه ، عليهم السلام ، وبلغ بها مكروههم ، وأحرق بها قلوبهم ، على قود قولهم !

فكان له من الخطر العظيم والعطية النفسية والعلو والدرجة الكريمة / والقدرة ١٣٦ط / القاهرة ما علا به على الخلق المطيع منهم والعاصى ؛ وبان بذلك الفضل على

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٢) فى الأصل : بلا .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

الأنبياء والمؤمنين إذ معه من عطية الله ، عز وجل ؛ وموهبته وخصوصه ما ليس مع الأنبياء الله ، عز وجل ؛ ولا مع أوليائه ! .

فأى عظيمة أجلُ من هذه العظيمة !.. وأى كبيرة أكبرمن هذه الكبيرة (التى)[1] نسبتموها إلى الله ، عز وجل ؛ أنه خصَّ بها إبليس ، ولم يُعطها رسله ولا أولياءه ولا من يسعى فى طاعته ، وأعطاها من كفر به وأشرك واستكبر ، وقال : ﴿ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[2] !

فهذا استأهل ، عندكم ، أن يجعل له المقدرة القاهرة والسلطان العظيم على خلقه الضُعَفاء المساكين ، الذين افترض عليهم أن يحذروا عمله ولا يتبعوا معاصيه ولا يقفوا آثاره ولا يفعلوا كفعله !.. سبحان الله العظيم عما قال المبطلون ، وعلا علواً كبيراً .

* * *

---

(١) زيادة ليست فى الأصل .

(٢) سورة الحجر آية ٣٣ .. وجاءت فى الاصل ﴿ .. خلقته من طين ﴾ وهو خطأ بيِّن .

الحجة الأولى

فى إبطال قدرة إبليس على الإغواء

ومن الحجة فى إبطال قدرة إبليس وما ادعوا فيه من آيات القرآن جميعاً ؛ التى فيها ذكره وسوسته لبنى آدم ، أن **ينصرف كله على الهوى** الذى يهواه الناس مع شيطان بنى آدم أيضاً .

وإنما الهوى شيطان ؛ لأنه رصاً للشياطين . على مقدار قول موسى ، صلى الله عليه؛ حيث وكز [١] القبطى فقتله : ﴿ **هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ** (١٥) ﴾[٢]؛ أى إنه عدوٌ لبنى آدمَ ؛ عليه السلام . ونولده من بعده على العداوة الأصلية ؛ **إن هذه المعصية من جنس عمل الشيطان** الذى عمله ؛ فكان معصيةً .

* * *

لم يشارك الشيطان موسى فى قتل القبطى:

ولو كان قتل موسى ، عليه السلام ، للقبطى عملاً للشيطان عمله هو ، دون موسى ، ﷺ ، لم يجز أن يقول الله ، عز وجل : ﴿ **وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا** ﴾ [٣] ؟!.. وكان الواجب أن ينسب قتل القبطى إلى قاتله ، وهو إبليس ، ولا يرمى [٤] به موسى، وهو برئٌ : ﴿ **وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** (١١٢) ﴾[٥].

وكيف يدخل ، عز وجل ؛ فيما عاب ، أو يُلزم البُرآء قتل الشحناء [٦] ؟!.. وإن كان إبليس أعانَ موسى فى قتل القبطى ، بمقدار شعرة ، لزمه أنه شريك لموسى ، عليه السلام ، فى القتل ، ووجب عليه نصف الدية فى حكم الإسلام ؛ لأن الدّية على من قتلوا [٧] كلهم لا بعضهم دون بعض ؛ وكلٌ منَ قتل رجلاً فلابُدَّ أن يكون معه إبليس بالحضرةِ يقتل معهُ الناس أينَ ما كانوا!. وكذلك الزناة واللاطة [٨]

---

(١) أي ضربة بيده مضمومٌ أصابعها فى صدره وهو لا يريد قتله .

(٢) سورة القصص : آية ١٥ .

(٣) سورة طه : آيه ٤٠ .. والفتون : الإبتلاء ؛ وهو مصدر .

(٤) فى الأصل : يرما .

(٥) سورة النساء آية ١١٢ .

(٦) الشحناء : الحقد والعداوة والبغضاء.

(٧) فى الأصل : قتل .

(٨) مفردها لوطى : أى من عمل عمل قوم لوط ، والمصدر منها لوْط .

وشراب الخمور والسرَّاق ، وجميع أهل المعاصى فى البر والبحر والشرق والغرب والسهل والجبل ؛ فيكون معهم إبليس مشاركاً لهم فى جميع المعاصى أين ماكانوا!.

١- فإن قال من خالفنا بهذا القول الزمهم أن ليس بين ربهم القول العزيز المطلع ١٣٧و/ على جميع الخلائق - فرق ، وين / إبليس الذليل العاجز الضعيف ! .

* * *

فى إبطال أن له أعوان !

وإن قالوا : إن له أعوان يفرقهم فى جميع البلدان ، فيضلوا [١] الخلق ؛ لزمهم أن يقال لهم : أخبرونا عن هؤلاء [٢] الأعوان والجنود لإبليس ؛ مجبورونَ على إضلال الخلائق وتفرقهم فى جميع البلدان ، حتى لا تخفى [٣] عليه خافية سراً ولا علانية ، أم مخيرون تخييراً ؟! .

* * *

إبليس هل هو مخير أم مجبور؟

٢- فإن قالوا : بل هم مجبورون جبراً على إضلال الخلائق .

قلنا لهم : فما حيلة الخلائق ؟!.. وأى قوة (لهم) على أن يخرجوا من تسليط ربهم عليهم ، ما لا يقدرون على التخلص منه ؟!..

ويلزمهم أن القرآن قد انتقض فى قوله ، عز وجل ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)** ﴾ [٤] .

* * *

هل إضلال الشيطان للناس عبادة منه لله ؟!

فإن زعموا أن إضلالهم للخلق هو عبادة لله ، عز وجل ؛ ألزموه ، عز وجل ؛ الجور والظلم والعذاب ، لمن عبده وأطاعه ؛ إذ قال فى كتابه إنه يعذب المطيعين ، إذ

---

(١) فى الأصل : فيضلون .
(٢) فى الأصل : تخفى .
(١) فى الأصل : هاولا .
(٣) سورة الذاريات : آية ٥٦ .

قال : ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [١] ، وقوله ، عز وجل : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [٢] ! . .

فتراه سمى المطيعين له غاوين - على قود قولكم ! . .

٣- **وإن قلتم** : مجبورن تخييراً لا قسراً لزمكم ان قولكم بالجبر باطل ، وان **أهل العدل** اصوب قولاً منكم ، وان الناس يقدرون ان لا يطيعوا إبليس فى قوله وامره وفعله ووسوسته ، وأن لهم عن ذلك مندوحة ومعزلاً وغنى [٣] ؛ وانه لامقدرة له على معصيتهم ، ولامقدرة له ولا لجنوده على إضلالهم جبراً أو قسراً ؛ لانهم - اعنى الجن- مخيرون تخييراً ؛ ولذلك لزمهم ان لايضلوا عباد الله ، عز وجل ، إذ خلقوا كلهم للطاعة لا للمعصية .

* * *

من الذى قتل القبطى موسى أم الشيطان أم هما معاً ؟

ودليل آخر ؛ انه لايجوز لموسى ، صلوات الله عليه ، فى عظمة وشرف مقامه وكمال ورعه وصدق لسانه وبارع علمه ، أن يلزم إبليس قتل القبطى ، وهو القاتل له وحده ؛ إذ قال : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [٤] فالزمه إياه كله ، ولم يقل : هذا من عمل الشيطان وعملى معه أيضا ، فيلزمه الكذب ها هنا . إذ كذب على إبليس إذ ألزمه القتل كله ؛ ولم يذكر نفسه ! . .

وهذا خارج من الحق ، والأنبياء لا يقولون إلا الحق ، صلوات (الله) [٥] عليهم أجمعين ؛ وإنما المعنى فيه الذى عنى [٦] الله ، عز وجل؛ أنه - أى موسى ، عليه السلام [٧] - عنى أنه - أى القتل بلا ذنب ظلماً [٨] - من جنس عمل الشيطان وشكله ، إذ عمل إبليس المعصية فى بدء الأمر ، يوم غشَّ آدم ، صلى الله عليه ؛ وكان إبليس أول من عصى [٩] الله ، عز وجل؛ معصية عمدٍ ، لا ما ذهب إليه الجهال أنه

---

(١) سورة الشعراء : الآيتان ٩٥ - ٩٦ . ، ويختصمون : يتجادلون ويتنازعون .
(٢) سورة ص آية ٨٥ .
(٣) فى الاصل : وعنا .
(٤) سورة القصص آية ١٥ .
(٥) ليست فى الاصل .
(٦) فى الاصل : عنا .
(٧) من وضعنا .
(٨) من وضعنا .
(٩) فى الاصل : عصا .

يقدر على القلوَب ولطائف الصنع ، كقدرة الله ، عز وجل ؛ وكذب العادلون بالله ، وضلوا ضلالاً بعيداً .

* * *

لقد ساوى المجبرة بين إبليس وخالقه :

ومن قال هذا ، فكيف بالله ، عز وجل [1] ، ساوى / بينه وبين خلقه فى القدرة ولطائف الصنع ! . .

فنعوذ بالله من العمى [2] فى دينه والصد عن سبيله .

ولو كان إبليس يضلُ الخلق بأمرٍ لا يعرفونه ، وسبب لا يرونه ، وبحيلة لا يهتدون إلى وصفها ولطائف تدق عليهم ؛ لوجب أن له من المقدر والقوة مثل ما لله ، عز وجل ! . .

وهذا أعظم الفساد وأكبر الإلحاد وأشد العناد .

* * *

---

(١) أى كيف يكون ربه ؟ بعد أن وصف إبليس بما لايكون إلا لله الواحد الأحد القادر القاهر الخالق العزيز .

(٢) فى الأصل : العما .

الحجة الثانية

إقامة الدليل على أن إبليس لا يعد أحداً أو يمنيه

ومن الحجة عليهم ، فى دعواهم أن إبليس يعدهم بالفقر ويأمرهم بالفحشاء ؛ أنا ، نحن وهم ، لم نشاهد أحداً يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء إلا شيطان بنى آدم ،فكيف جاز لهم أن يقطعوا الشهاد على شيطان الجن دون شيطان الإنس ، وقد أعلمهم الله ، عز وجل ، أن فى الإنس شياطين وفى الجن شياطين [1] !..

فَلمَ قطعوا الشهادة على الجنى دون الإنسى ، والإنسى ، بالمشاهدة (هو) [2] ، الذى عمل بنا العمل ؛ والجنى لم نشهد عليه ، بالعيان ، كما شهدنا على هذا الآخر؛ والله ، عز وجل ، فلمَ يُفرد واحداً منهما دونَ الآخر فى كتابه [3] .. فكيف جاز لهم هذا القول ؟!..

ولو كان لإبليس من القوة والقدرة ولطائف الصنع ودقائق الأسباب ، التى لو اجتمع الخلق على أن يقفوا على كنه واحدة منها ما قدروا على ذلك أبداً .

فيلزم من خالفنا أن ليس بين قوة الله ، عز وجل ، وقدرته ولطائف صنعه ودقة أسبابه ، وبين قدرة إبليس وقدرته ولطائف صنعه ودقائق أسبابه فرق ، وبين الخالق – وهذه صفة الواحد الفرد الذى ليس كمثله شئ – والذى قالوا فى قدرة إبليس ولطائف معانيه ، يوجب فساد التوحيد ؛ وأن كمثل الله ، عز وجل ؛ حَيًّاً يقدر كقدرته ويفعل كفعله !.. عز عن ذلك القوى العزيز .

* * *

هل أقدر الله إبليس على ما يفعل؟!

فإن قال قائل : إن الله عز وجل ؛ أقدره على ذلك ، وجعل له السبيل والقوة على

---

(١) يشير إلى قوله ، عز وجل : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الأنعام آية ١١٢ .

وقوله : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ الأنعام آية ١٢١ .

(٢) زيادة ليست بالأصل .

(٣) ويمكن أن تقرأ هكذا : «فلم يفردُ ....؟» .

فعله . لزمه أن حكمة الحكيم ها هنا غير حكمة ؛ وحسن نظره لخلقه غير حسن نظر ، ورحمته لهم غير رحمة ؛ إذ أقدر عليهم عدواً يأتيهم من حيث لا يعلمون ، وقد أمرهم بمخالفته بعدما أقدره عليهم ! . . فأىُّ جور يكون أعظم من هذا الجور ، وأى ظلم يكون أكبرمن هذا الظلم ، إذ كلفوا الحذر ممن لا يرون إلى معانى أسبابه الواقعة ، ١٣٨و/ بعد ما قال فى كتابه ، على لسان نبيه : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (١) ؛ و قوله : ﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ (٢) ؛ وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (٤) ! .

* * *

الحق لا يختلف ولا يتضاد :

فهذا شئ يخالف بعضُهُ بعضاً ، والحق لا يختلف ولا يتضاد ؛ إنما الذى يختلف ويتضاد الباطل . وإن لا ، فهل يوجدونا حجة نعقلها ، ويعقلها معنا الرجال ، ذووا الألباب، حتى تصح وتلزمنا بها الحجة ؛ إنْ واحداً منهم ، أو من غيرهم ، وعدهُ إبليس– منذ خلق – الفقر ، أوصَدَّهُ عن الطاعة ، أو وسوسهُ فى صلواته أو فى غيرها .

* * *

كيف وعد و صد ووسوس ؟!

كيف ذلك كله الذى كان من إبليس إليه !!

فإن جاء فيه بحجة قاطعة بيِّنة تشهدُ عليها العقول ، ويفهمها أهل العلم والمعرفة بأمر واضح بيِّن ، رجعنا عن قولنا إلى قوله ، وتُبنا عما كنا عليه .

* * *

أدوات المعرفة :

لأنا لا نعقلُ الوسوسة والأمر بالفحشاء ولا وعد الفقر ، إلا على قدر البينة التى نبأنا الله ، عز وجل ، عليها وما جعل لنا من **الإدراك بالحواس الخمس وبخاطر العقل** .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .
(٢) سورة الطلاق آية ٧ .
(٣) سورة البقرة آية ١٨٥ .
(٤) سورة الأحزاب آية ٤٣ .

وهذا الشيطان – الذى ذكره مخالفونا – لم يلقانا قط فيكلمنا مواجهة ولم يكلمنا من وراء حجاب ؛ ولم يخاطبنا على لسان رسول بعثه إلينا ؛ فلم يأتنا منه كتاب نقرأه ونعلم ما فيه ، وليس البنية – التى نحن عليها – تعقل الأشياء ، ولا تصل إلى علمها إلا من هذه الجهات ، وهى الحواس الخمس – التى لا سبيل لبنى آدم إلى شئ مما يدركونه إلا بها – وقد سقطت كلها عما ادعوا ؛ **وأن إبليس لم يأتنا قط من قبل الحواس الخمس** .

فقد بان هذا وصح ، وبطلت فيه دعوى كل كاذب على الله ، عز وجل ؛ وعلى كتابه ؛ **إذ جهلوا القرآن ومعانى اللغة العربية فيه** .

* * *

نفى كون لإبليس تأثير فى قلوبنا :

فإن قالوا : إنما يأتى إبليسُ الناس من قبل أن يوقع ذلك فى قلوبهم لا غير ذلك . لزمهم القول الأول ؛ أنه يجب له من القوة والقدرة الدقيقة اللطيفة ما يجب لرب العالمين العلى العظيم ؛ الذى لا يقدر على تصريف القلوب وتقليبها غيره ، عز وجل !

وإبليس أقل وأذل وأضعف من أن يكون بهذه المنزلة العالية الرفيعة ، التى لم يقدر عليها الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون ؛ وقد مدح الله ، عز وجل ، نفسه – فى غير موضع من القرآن – باطلاعه على القلوب وعلمه بالضمائر وقدرته على تصريفها وتقليبها ، فقال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] .

فإن كان إبليس يقدر أن يحولَ بين المرء وقلبه ، فقد لزمهم ووجب عليهم أن له قدرة كقدرة الله ، عز وجل ، وأنه قد ساواه فى هذه المنزلة التى مدح الله (عز وجل) [2] بها نفسه ولم يكن له عليه فضل .

١٣٨ظ/ وقد زعمتم أن إبليس يقدر أن يحول بين المرء / وقلبه . ومن قال بهذا فقد بان كفره وظهر جهله ، وخرج من الإسلام كافة ، وقال الله ، عز وجل : ﴿ وَنَعْلَمُ مَا

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٤ .

(٢) ليست فى الاصل .

تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [1] ، فتراه – عز وجل – قد أضاف وسواس النفس إلى النفس ولم يضفه إلى إبليس ! .

الهوى هو الداعى ..

إذاً الهوى [2] هو [3] الداعى إلى كل صواب وخطأ ووسواس وكل خير وشر ، وأنه لا فاعل لذلك غير الآدمى ؛ إذ لا قدرة لأحدٍ على تصريف القلوب ، وإمالتها عن شئ إلا الله الواحد الفرد القوى القادر اللطيف الصنع ، الذى عجز عن كنهِ لطائفهِ أهل الغموض فى العلم [4] ؛ وأهل التدقيق من أهل النظر ، وتاهت العقول والأوهام عن إدراك ذلك ، وثبتت به الوحدانية ووجبت به على الخلق الطاعة .

فإذا كانَ موصوف آخر غيره تجب له هذه الصفة الشريفة الكريمة العظيمة فما الفرق بينهما ! .. بينوه لنا إن كنتم صادقين ! ..

* * *

احتجوا بقوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾ [5] .

فإن قال قائل : قد قال الله ، عز وجل ، فى كتابه ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [6] فقد أخبرنا بهذه فلا حجة لكم فيها .

* * *

الرد عليهم فى احتجاجهم :

قلنا رادين عليه ، لجهله ، وناقضين عليه خطأه ، ومحتجين عليه بما يقطع – بعون الله– على أداء الصواب ، والقول بالحق : إنما عنى [6] الله ، عز وجل ، بهذه الآية –

---

(١) سورة ق : آية ١٦ .

(٢) فى الأصل : الهوا .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

(٤) لا أدرى ماذا يقصد بهذه العبارة .. غيرانه ربما قصد علماء الطبيعة والرياضيات ..أو قريباً من هذا .

(٥) سورة الناس الآيات ٤ – ٦ .

(٦) فى الأصل : عنا .

التى ذكرت – ما يتصور فى قلوب بنى آدم وفى صدورهم وماتجريه الخواص فى الصدور [1] ، من ذكرها للجنة والناس فى الصلاة وفى غير الصلاة ؛ إن ذلك أمر غير مجهول لما تجده يوسوس فى صدرك من ذكر الجنة والناس ؛ ولا موسوس وسوسك ولامكلم كلمك ولا أحسست أحداً مازج قلبك .

* * *

هل هناك وسوسة من الأصل؟!

والدليل على صدق قولنا ، وثبوت حجتنا أنك – إذا كنت تصلى ثم خطر فى صدرك خاطر – أن أحداً من الناس لا يكلمك فى صلاتك ؛ إذ قد علم الناس أن ذلك شئ لا يجوز ؛ فاحد لا يكلم أحداً فى الصلاة ، ولا يوسوسهُ ولا يساره إذا هو يصلى؛ بإجماع الخلق معنا على هذا القول !..

فإن وسواس الإنسان – الذى ذكره الله ، عز وجل ، حيث قال : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦ ﴾ [2] .

فأخبرونا الآن كيف وسواس الناسُ للناسِ فى الصلاة إن كنتم صادقين؟!.. فلا سبيل لكم إلى ذلك أبداً .

فإن قالوا : هو صياح من يصيح بى ، وكلام من يكلمنى .

قلنا له : ليس ذلك يعنى ، إنما يعنى وسوسة دقيقة لطيفة ، كما ادعيتم ؛ لإبليس؛ ١٣٩و/ فأما أصواتُ بنى آدم ، وشغلُهم للمصلى فهو كثير غير قليل . فبطل ما ادعيتم فى وسوسة بنى آدم لصاحبه فى الصلاة وحدها .

* * *

---

(١) إنه يشير إلى الخواطر والتى قسمها الغزالى إلى دواعى خير وشر .. وسماها إلهامات ووساوس .. والداعى إلى الأولى الملك ، وإلى الثانية الشيطان .

(٢) سورة الناس آية ٦ .

يعنى لا يخرج عن كونه حديث النفس وترددها بين خواطرها المختلفة ؛ ومن هذه الخواطر ما هو خير وما هو شر ؛ تنشأ من انشغال الإنسان بالدنيا وما يتنازعه فيها من رغبات وأهواء وأمانى .

لهذه الآية تأويل لم يدركه المجبرة :

ووجب أن له تأويلاً لم تعرفوه [1]، وكذلك يلزمكم فى وسواس الجن للناس ؛ أنه لايعقل إلا بإدراك الحواس الخمس [2] ، وقد صح أن الحواس لا تدرك إلا ما كان محسوساً [3] ؛ ولذلك سميت الحواس لحسِّها الأشياء كلها [4] وإدراكها لها كلها ؛ ولذلك لزمها التأديب والأمر والنهى والثواب والعقاب .

* * *

أثر الإدراك الحسى فى المعرفة:

فاما ما لا تدركه الحواس فلا حجة عليها فيه لله الواحد ، الذى لا يدرك بالحواس ؛ وبذلك وجبت له الوحدانية ، واستحق الربوبية ، إذ لا يدرك بالحواس ولا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس .

* * *

إدراك التكليف شرط من شروط قبوله :

فإن كان ثم شئ نهينا عنه وحُذِّرنا عن مواقعته ، وهو شئ لا تدركه الحواس ، فهذا تكليف ما لا يطاق ولا يعرف ولا يمكن الحذر منه ، لغموضه فإنه لا يدرك أبداً؛ فهذا ما لا يجوز على الله ، عز وجل ، فى حكمته وحسن فعله وعدله ، البعيد

---

(١) أى لهذا الوسواس الخناس .

(٢) فى بيان أن الحواس خمس أواكثر انظر الأشعرى : مقالات الإسلاميين ؛ ٢ / ٣٠ .

(٣) فى بيان أن الحواس لا تدرك إلا ماكان محسوساً ، انظر رأى علماء الأصول وخلافهم حول هذه المسألة .
الاشعرى : المقالات ؛ ٢ / ٥٩ .

(٤) فى بيان معنى الإدراك انظر الجرجانى : «التعريفات» ، ص ٢٥ حيث يقول : **الإدراك** : هو الإحاطة بالشئ بكماله . وهو حصول الصورة عند النفس الناطقة ؛ وتمثيل حقيقة الشئ وحده ، من غير حكم عليه بنفى أو إثبات ، ويسمى **تصوراً**؛ ومع الحكم باحدهما يسمى **تصديقاً**
أماكيف يحدث الإدراك الكلى فى الحس المشترك ، فيقول عنه الآمدى فى كتابه «المبين» ، ص ١٠٥ : **وأما الحس المشترك ؛ ويسمى فنطاسيا** : فعبارة عن قوة مرتبة فى مقدم التجويف الأول من الدماغ ، من شانها إدراك ما يتادى إليها من الصور المنطبعة فى الحواس الظاهرة

عن الجور والظلم أن يحذر العباد عن أمرٍ لا يقفون له على كنه ولا يقفون له على صفة [1].

* * *

العوام لا يدركون تأويل المتشابه:

ولا يجوز أن يكون بهذه الصفة إلا الله الواحد القهار ، الذى ليس كمثله شئ وهو السميع العليم ؛ وفى القرآن (الكريم) [2] آيات متشابهات لها تاويل لا يعقله العوام ولا الغباة من الأنام [3]؛ **ولها أيضا معانى دقيقة فى لغة العرب تعرفها العرب فى كلامها،** ويجوز فى خطابها ، لما خاطبها رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، عن الله عز وجل ثناؤه ؛ بلسانها العربى المبين ، الذى لا عوج فيه ولاعماية فى نسقه ، ولا خفاء عنهم فى تصريفه ؛ ولذلك لزمتهم به الحجة ؛ إذ هو عربى لا يخفى عليهم منه حرفٌ واحد فما فوقه ؛ لأنه عربى مبين ، كما قال الله ، عز وجل .

* * *

الوسواس هو ما يخطر على قلب الآدمى من ذكره الجنة والناس:

فمن الشواهد على ما قلنا : أن الوسواس إنما يعنى به ما يخطر على قلب الآدمى [4] من

---

(١) هل يكلف الله عباده ما لا يطاق .. أو يجوز فى حقه ذلك ؟
اختلف القائلون بالعدل والتوحيد مع التيار الجبرى ، الذى يمثله **جهم بن صفوان والأشعرى** من بعد ، وغيرهما من الطوائف الإسلامية - والفرق بينهم فى الدرجة وليس فى النوع - فى هذه المسألة .. انظر الإيجى : المواقف ؛ ص ٣٢٠، والأشعرى : اللمع ؛ ص ١٠٧ وما بعدها ، والقاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٩٧ .

(٢) زيادة ليست فى الأصل .

(٣) انظر الأشعرى : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ٢ / ١٠٣ .

(٤) فى بيان موقف المسلمين من الخواطر .. ومعنى الوسواس .. وكيف يوسوس الشيطان لبنى آدم .. وكيف اختلفوا فى ذلك ، انظر الأشعرى : مقالات الإسلاميين ؛ ٢ / ١٠١ ، ١٣٤ ... أما الخاطر فى المصطلح ، فقد ذكره الجرجانى فى التعريفات، ص ١٠٧ .. فقال : **الخاطر** : مايرد على القلب من الخطاب ، أو الوارد الذى لا عمل للعبد فيه ، وماكان خطاباً فهو أربعة أقسام :-
١- **ربانى** : وهو أول الخواطر ، وهو لا يخطئ أبداً ، وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع .
٢- **وملكى** : وهو الباعث على مندوب أو مفروض ، ويسمى إلهاماً .
٣- **ونفسانى** : وهو ما فيه حظ النفس ، ويسمى هاجساً ؛ وشيطانى ، وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق ، قال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ سورة البقرة آية ٢٦٨ .
وهكذا نجد الجرجانى ، فى القرن التاسع الهجرى ، لا ينسب للشيطان فعلاً فى الإنسان ، لقد كان المسلمون دائماً على وعى .. لولا غلبة الخرافة على جهالهم .

ذكره الجنة والناس ، لا أنهم يوسوسنه فى صلاته ، فأما غير الصلاة فإن شياطين بنى آدم توسوس إخوانها بكل شئ مما تأمرها به ، وتشير عليها من القتل والزنا والسرقة والشرب للخمر وجميع المعاصى .

* * *

شياطين الإنس يوحى بعضهم إلى بعض ، وكذلك شياطين الجن :

والدليل على ذلك قوله : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [1] فشياطين الإنس يوحى بعضهم إلى بعض ، لا الجن توحى إلى الإنس ، ولا الإنس إلى الجن ؛ لأنا لم نجد ذلك قط .

وأما قوله – عز وجل : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [2] فإنهم يقولون : لو شاء لحال بينهم وبين تلك المعاصى التى يوحى بها بعضهم إلى بعض ؛ حتى لا يقدروا على فعلها ؛ ولكنهم مخيرون غير مجبورين فافهم هذا الباب ، إن شاء الله [3] .

* * *

أثر اللغة ومعانيها فى فهم القرآن الكريم :

١٣٩ظ / رجع الكلام إلى تفسير الشواهد على قوله : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [4] .

(١) الشاهد الأول :

فمن ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ [5] ، ثم قال فى ثمود ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [6] ، فأخبر عز وجل ؛ أن عاداً أهلكت بالريح الصرصر [7] ، وأن ثموداً أهلكت بالرجفة [8] ، ثم قال ، بعد

---

(١) ، (٢) سورة الأنعام آية ١١٢ .

(٣) اختلف المسلمون هل يخبر الجن الناس بشئ أو يخدمونهم ؟.. انظر الأشعرى : المقالات ، ٢ / ١١٠ .

(٤) سورة الناس آية ٦ .

(٥) سورة الحاقة آية ٦ .

(٦) سورة الأعراف آية ٧٨ .. وكذلك الآية ٩١ من السورة نفسها .

(٧) الريح الصرصر : شديدة البرودة .

(٨) الرجفة : الزلزلة الشديدة يقال رجفت الأرض : أى اضطربت وزلزلت .

ذلك فى سورة حم السجدة [1] : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [2] ! .

فجاء - ها هنا - أن الفريقين إنما هلكا جميعاً بالصاعقة بعد ما قال ما قال أنهما هلكا بالريح والرجفة ! . .

هذا من عجائب العربية ؛ لأن الريح عند العرب الصاعقة [3] وكل عذاب هو عندهم صاعقة ؛ لا يشكون فى ذلك ؛ لما يعوا فى كلامهم وخطابهم ، والدليل علي ذلك أن الصعق القيسى كان يقرى أضيافاً له ، واشتدت عليه الريح مآذنة فدعا عليها ، فسلطها الله ، عز وجل ، عليه فاهكلته فمات منها ؛ ولذلك لا يعرف هو ولا ابنه فى قيس إلا بعمر بن الصعق .

قال الشاعر :

وإنْ خويلداً فأبلى عليه ... قتيلُ الريحِ فى البلد التهامى

فسمّوه « الصعق » ورَثَوْهُ بأنه قتيل الريح ، وأن الصعقَ عندهم - هو الريح ، فافهم هذا الباب ؛ إن شاء الله .

(٢) الشاهد الثانى :

وشاهد آخر قوله ، عز وجل : ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [4] والكفار لم يكونوا قط فى النور فيخرجوا منه ، وإنماهم فى الظلمة والعمى [5] أبداً ؛ وإنما المعنى فيه أن من مال عن الحق فهو خارج من النور [6] .

---

(١) يقصد سورة فصلت ، وهو أحد أسمائها .

(٢) سورة فصلت : آية ١٣ .

(٣) الصاعقة : العذاب المهلك . قال تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ﴾ سورة الرعد / ١٣ .
والصاعقة كذلك : جسمٌ نارى مشتعل يسقط من السماء فى رعدٍ شديد .

(٤) سورة الأحزاب آية ٤٣ ، وكذلك سورة الحديد آية ٩ .. وقد وردت فى الأصل هكذا ﴿ لتخرجهم .. ﴾ وهو خطأ بيّنٌ.

(٥) فى الأصل : العما .

(٦) يبدو أن المؤلف يقصد قوله تعالى : سورة البقرة آية ٢٥٧ .. لأن كلامه لا ينطبق إلا على هذ الآية .. وهو ما يؤكد أنه كان يقصدها ، ولكن سبقه قلمه بذكر آية أخرى . وفيها يقول الزمخشرى : (يخرجونهم) من نور البيّنات التى تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة . الكشاف ، ١ / ٣٠٤ .. وهو ما لا يفعله إلا شياطين الإنس .

(٣) الشاهد الثالث : (المقلوب فى اللغة) :

وقال الله ، عز وجل ، فى صفة النار - نار الآخرة - ﴿ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [١] وأعلمنا أنه لا يفتر [٢] عنهم ؛ والذى لا يفتر هو الدائم غير المنقطع، ثم قال : ﴿ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [٣] فأعلمنا - ها هنا - أنها تخبو ، و« الخبوُ » فى لغة العرب ، التى يتجمد لهبها القوى ، ويعود إلى الجمود والسكون واللين بعد الشدة والحركة العظيمة [٤] .

قال الشاعر :

يسطعُ الضربُ بينهم ثم يخبو كالخباءِ المقطَّعِ الأطنابِ.

وهذا يوجب الاختلاف ؛ وقد قال الله ، عز وجل ؛ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [٥] .

وإنما المعنى فيه وهو باب تسمية العرب المقلوب فى اللغة [*] ، وكذلك تسمية المقلوب فى لغاتها وأشعارها .

وإنما المعنى فيه أن النار كلما أحرقت جلودهم أعادها الله ، عز وجل ، على ما ١٤٠و/ كانت عليه تأكلهم ، حتى يحترقوا ، ثم يعادوا ويبدأوا ، وذلك قوله ، عز وجل : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [٦] فقال - عز وجل- : كلما خبت زدناهم سعيراً ؛ يعنى بالخبو ، خبو ما يحرق لا خبوها هى . وهذا الباب تسميه العلماء المقلوب فى القرآن . وكذلك تسمية العرب فى لغاتها وأشعارها .

قال الشاعر فى نحو ذلك :

حتى لحقناهم تعدوا فوارسنا كأننا زغن قف نرفع الآلا [٧]

---

(١) سورة الزخرف آية ٧٥ .. والمبلس : الذى يأس من تخفيف العذاب ، من الإبلاس وهو الحزن المعترض من شدة اليأس .

(٢) لا يفتر : أى لا يخفف عنهم العذاب ولا يسكن .

(٣) سورة الإسراء : آية ٩٧ .

(٤) انظر المعجم الوسيط ؛ مادة « خبو » ؛ ١ / ٢١٦ .

(٥) سورة النساء آية ٨٢ .

(*) انظر ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ، باب المقلوب ، ص ١٨٥و وما بعدها .

(٦) سورة النساء آية ٥٦ .

(٧) البيت فى الأمالى ؛ ٢ / ٢٨٨ ، وهو من بحر البسيط..

فقال : نرفع الآل ، والآل [1] : السَّراب فى لغة العرب ، يريد أن الآل يرفع القف، والقف : هضبة من الهضاب ، فيصير الآل يرفع المرفوع وهو الرافع .

وقال آخر :

ونركب خيلاً بعد خيل قواصداً .. وتعدوا الرماح بالضياطرة [2] الحمرِ .

فصَّير الرماح تعدوا بالرجال ، والرجال هم الذين يعدون بها .

وفى ذلك يقول الله ، عز وجل ؛ ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ [3] والعصبية [4] هى التى تنوء بالمفاتيح . فافهم هذا الباب ، إن شاء الله .

وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [5] والعجل منه هو ؛ وهذا حجة عليك فى قولكم : يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ، ألا ترى قوله : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [6] والعجل منه هو !! .

ومن الشواهد على تصريف اللغة العربية ، قوله ، عز وجل : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [7] والليل والنهار لا مكر لهما ، وإنما عنى [8] ، عز وجل ، مكر الكفار [9] بالليل والنهار ، فجاز ذلك فى اللغة ، كما تقول العرب : أكل الليل يضرُّنى .

---

(١) انظر المعجم الوسيط ، ١ / ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) أى الفرسان العظيمة الضخمة المهابة .. والضوطر : الضخم الاغناء عنده .. وقد نسبه المبرد فى « الكامل » لخداش بن زهير ، ١ / ٢٧٤ ، وكذلك ابن منظور فى « اللسان » ٦ / ١٦٠ ورواه هكذا : « وتشقى الرماح » .. وفى قصيدته التى رواها فى « جمهرة أشعار العرب » ، ص ١٠٨ .

وقال ابن قتيبة فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » .. « ومن المقلوب ما قلب على الغلط » وذكره ، ثم قال : أى « تقصى الضياطرة بالرماح » وهذا ما لا يقع فيه التأويل لأن الرماح لا تقصى بالضياطرة ، وإنما يعصى الرجال بها ، أى يطعنون ؛ ص ١٩٨ . كما جاء فى اللسان : « ويجوز أن يكون عنى أن الرماح تشقى بهم ، أى انهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على القلب ، أى تشقى الضياطرة الحُمر بالرماح ، يعنى انهم يقتلون بها » .. وهو من بحر الطويل .

(٤) سورة القصص آية ٧٦ .

(٥) العصبة : الجماعة من الناس أو الخيل أو الطير ، والجميع عُصَبٌ .

(٦) سورة الأنبياء : آية ٣٧ .

(٧) سورة سبأ آية ٣٣ .

(٨) فى الأصل : عنا .

(٩) ذكر ابن قتيبة فى « تأويل مشكل القرآن » باباً عن الحذف والاختصار قال فيه : « ومن ذلك أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه وتجعل الفعل له ، فذكر هذه الآية ومما ذكره قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ يوسف ٨٢ – أى سل أهلها ، وقوله ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ البقرة ٩٣ – أى حبه ، و ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ البقرة ١٩٧ – أى وقت الحج – وغيرها فى القرآن كثير ، انظر ص ٢١٠ وما بعدها ، بتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر ، وقارن بهامشه ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ من « الصناعتين » للعالم البلاغى الكبير أبى هلال العسكرى .

وهو لا يأكل الليل ، وإنما يريد : أكلى بالليل يضرنى .

قال الشاعر يمدح **هوذة بن على الحنفى** [١] :

خيلك فى الصيف فى نعمةٍ تصان الجلال وتعطى الشعيرا [٢]

وإنما يريد تصان بالجلال ، فصيَّر الجلال المصونة .

وقالت **خنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية** [٣] تصف ناقة بطلت [٤] ولدها :

ترعى إذا نسيت حتى إذا ذكرت فإنما هى إقبال وإدبار [٥]

تعنى أنها مقبله ومدبرة، لا أن فى صورتها إقبال وإدبار ، وهذا من عجائب العربية، التى صرفوها إلى عقولهم واتباع أهوائهم هذا ، وإنما جربنا هذا الاحتجاج فى اللغة العربية وكيف تصريف معانيها فى القرآن ؛ ليعلم جميع من [٦] خالفنا فى إبليس وفى الجن أن ذلك كله له معنى يجرى فى اللغة العربية ، ويصرفها التأويل إلى ١٤٠ظ/ معنى [٧] غير الذى ظنوا ، ولكن لا معرفة للقوم بمعانى القرآن ، ولا معانى

---

(١) هوذة بن على بن ثمامة بن عمرو الحنفى ، من بنى حنيفة . من بكربن وائل ، توفى سنة ٨ هـ / ٦٣٠ م : صاحب اليمامة (بنجد) وشاعر بنى حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام وفى العهد النبوى .

وفيه يقول الأعشى (ميمون) قصيدته التى أولها : « بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا » ومنها « من يلق هوذة يسجد غير متئب » دعاه الرسول ، ﷺ ، للإسلام .. فاشترط أن يشارك النبى فى أمره ، فلم يجبه ، فأبى .. ومات بعدها بقليل .

(٢) البيت لأعشى بكر .. انظر ديوانه .. وكذلك فى الأمالى ؛ لأبى على القالى ؛ ١ / ٧٥ .

(٣) هى تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، الرياحية السُّلمية . من بنى سُليم ، من قيس عيلان . من مضر ؛ توفيت سنة ٢٤ هـ / ٦٤٥م: أشهر شواعر العرب . وأشعرهن على الإطلاق . من أهل نجد ، عاشت أكثر عمرها فى العهد الجاهلى . وأدركت الإسلام فاسلمت ووفدت على رسول الله ، ﷺ ، مع قومها من بنى سليم فكان رسول الله ، ﷺ ، يستنشدها ويعجبه شعرها ، فكانت تنشد ، وهو يقول : هيه ياخنساء ! .. أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قتلا فى الجاهلية . لها ديوان شعر مطبوع ، فيه ما بقى محفوظاً من شعرها . وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة ١٦ هـ فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعاً . فقالت : **الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم** !..

انظر ترجمتها بالأعلام للزركلى ؛ ٢ / ٨٦ .. وبهامشه ما يلى : « شرح الشواهد ٨٩ – ومعاهد ١ / ٣٤٨ – والشعر والشعراء ١٢٣ – والدر المنثور ١٠٩ – والشريشى » ٢ / ٢٣٣ – وفى أعلام النساء ١ / ٣٠٥ طائفة من أخبارها ، وحسن المحاضرة ، ص ٩٤ – وخزانة الأدب للبغدادى ١ / ٢٠٨ – وجمهرة الأنساب ؛ ص ٢٤٩ – وفى القاموس : ويقال لها خناس – كغراب – أيضاً .

(٤) أى فقدت ولدها .

(٥) البيت فى ديوانها ، ص ١١٢ .

(٦) فى الأصل ما .

(٧) فى الأصل ٠ معنا .

اللغة العربية التى خاطب الله ، عز وجل ، أهلها بكتابه المبين وجعله حجة عليهم إلى يوم الدين .

الهوى إله الكافرين .. وهو أعظم من إبليس:

ألا ترى إلى قوله ، عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [1] وإلا لهُ عنده أعظم من إبليس ، أفلا ترى أن الكافر جعل إلاهه هواه ، وكذلك يكون إبليسه هواه ، إذ أثبتنا فى كتابنا هذا الحجة الواضحة أن إبليس لم يغونا بشئ وقعت عليه حواسنا ، وإنما كان إبليس عدواً لأبينا آدم ، صلى الله عليه ، وكل معصية من بنى آدم منسوبة إلى تلك المعصية .

ألا تسمع إلي قوله ، عز وجل : ﴿ يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ [2] ؛ فنحن نقول الآن ، لمن خالفنا : أخبرنا كيف يفتننا الشيطان إذ لانواجهه ولا نراه ولا نكلمه ولا يرسل إلينا ولا يكاتبنا ولا يقدر على قلوبنا ، لضعفه وذلته وعظيم عجزه [3] ؟!

وأنا قد أوجبنا عليكم أنكم أثبتم له أنه يقدر على القلوب ويوسوسها بلطيفة لا نعلمها ، لزمكم أنه لا فرق بينه وبين ربكم ، الذى لا يعجزه شئ ، وأنكم إن قلتم : إنه أقدره على ذلك . وجب ظلمه لعباده وعذابه لهم على أمر أقدر عدوهم على فعله من حيث لا يعلمون ولا يقدرون على الحذر منه ! . .

وهذا خارج من العدل والرشد والرحمة وإرادة العسر لا اليسر ، لا مخرج لكم من هذا الباب [4] .

* * *

---

(١) سورة الجاثية آية ٢٣ .

(٢) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٣) يقصد الإمام أحمد أن الذرية تفعل فعل أبيها حيث اتبع هواه ، حين سمع كلام الشيطان وترك كلام ربه – غافلاً وناسياً . . فالآية لا تفعلوا كفعله ولا تعصوا كما عصى ،واحذروا الهوى فهو شيطانكم ، حيث لا شيطان لكم غيره يضلكم ، وهو تفسير لطيف للآية بعيداً عن التصور الجبرى لها .

(٤) اختلف الإسلاميون حول كيفية وسوسة إبليس لبنى آدم على ثلاثة مذاهب . . انظرها فى مقالات الإسلاميين، للأشعرى؛ ٢ / ١٠٩ ، أما موقفهم من قضية هل يعلم الشيطان ما فى القلوب ، فقد اختلفوا فيها على ثلاثة مذاهب كذلك ؛ ٢ / ١١٠ .

الإنسان لـه استطاعـة :

فإن قال قائل : فقد أراه أقدر بعضاً على قتل !

قلنا له : إنما جعل فينا استطاعة [١] ، وحرم دمانا علينا ، ونحن نرى من يريد لنا ضرراً ، ونقدر أن نتقيه ونحذر منه ، وهذا الذى وصفتم لا يقدر أحد أن يحذره ، وهذا يخرج من العدل والحكمة .

وإنما إبليس ، الذى جرت عليه المخاطبة فى جميع الآيات التى اعتلوا بها لا تخرَّج على شئ من جميع الأشياء إلا على الهوى المتبع والميل عن [٢] الحق والاقتداء فى فعله، فسمى ذلك كله لإبليس طاعةً وفعلاً له ؛ إذ الهوى صار إلى مراده وفى طاعته فنسب ذلك إلى إبليس ، فاعلم ذلك وقف عليه بأحسن الفكرة ، إن شاء الله .

* * *

كيف يرانا إبليس وذريته .. وما أثر ذلك علينا :

وأما قوله : عز وجل : ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ [٣] فهذا هو الصحيح من القول ، قد جعل الله ، عز وجل ، له ولقبيله أنهم يروننا من حيث لانراهم ، إذ هم فى الهواء [٤] والملائكة فى السماء ، ونحن فى الأرض فى الدنيا ، وليس لهم علينا مقدرة ولا كرامة لهم .

* * *

لمَ صرف المجبرة كلامهم إلى شياطين الجن دون الإنس ؟!

ومن جهل مخالفينا وعمى [٥] قلوبهم أن الله ، عز وجل ، ذكر شياطين الجن والإنس فى كتابه ، فجعلوا جميع (همهم) [٦] وحجتهم ومخالفتهم واحتجاجهم ١٤١و/ علينا فى شياطين الجن وحدهم ، ولم يذكروا ولم يحتجوا بشياطين الإنس – وهم أضرُّ وأشد بلاء وبأساً وعلواً وإهلاكاً من شياطين الجن!! ..

---

(١) الاستطاعة هنا بمعنى قوة وإرادة وقدرة ورغبة فى الفعل أو عدمه .،

(٢) فى الأصل : من .

(٣) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٤) فى الأصل : الهوى .

(٥) فى الأصل : عما .

(٦) فى الأصل بياض

شياطين الإنس أقدر علينا من غيرهم ؛

أفلا جعلوا بعض هذا الإغواء والضلال والفساد منسوباً إلى شياطين الإنس ! . . كأنهم لم يسمعوا الله ، عز وجل ، إذ يقول : ﴿ **إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾** ﴾ [١] وهم شياطين الإنس خاصة [٢] .

* * *

من شيطانك أيها الإنسان ؟!

ولأنهم لا يرون شياطين الجن ، بشاهدة القرآن أن **شياطين الإنسان نفسُه وظلمه وهواه المتبع وعدوُّه** من شياطين الإنس ، واقتداؤه بإبليس ، وإنما يسمعون ذكر الشيطان فى القرآن ، وما أخبرنا الله ، عز وجل ، عنه ، وله تأويل غير ما ظنوا تعرفه العلماء ، ولا يشك فيه البصراء .

* * *

المثل فى القرآن الكريم .. للتفهيم والتقريب ؛

١- ألا تسمع إلى قوله ، عز وجل : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾** ﴾ [٣] والسموات والأرض والجبال فإنما هى أجسام جمادية لا سمع فيها ولا بصر ولا عقل ولا شفقة ولا طاعة ولا معصية ؛ وإنما مثل ضربه الله ، عز وجل ، للناس يريد به ، أنها لو كانت تعقل - كما يعقلون - وتفهم - كما يفهمون - لما حملت الأمانة ، كما حملتموها ولأشفقن منها [٤] .

---

(١) سورة البقرة آية ١٤ .

(٢) جاء فى تفسير ابن كثير ان هؤلاء الشياطين هم رؤساءهم وكبراؤهم وزعماؤهم فى الكفر والشرك وقادتهم **كأبى جهل وعتبة وشيبة وأمية بن أبى الصلت ، وكذلك اليهود الذين** كانوا ينصرفون إليهم فيشيرون إليهم بعداء ، محمد ﷺ ، ومحاربته ، والمنافقون الذين يجتمعون فى الخفاء للكيد مع اليهود للإسلام ونبيه ، وقد كان ﷺ يتعوذ من شياطين الإنس والجن . ١ / ٥٥ ، ويقول الزمخشرى : ماثلوا الشياطين فصاروا مثلهم ١ / ٦٥ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٧٢ .

(٤) قارن ما ذكره الإمام هنا بما ذكره الطبرى فى تفسيره ، ٢٢ / ٣٨ - ٤٢ - فسيتضح لك فرقاً كبيراً فى التفسير والتأويل وفيه دلالة على وعى هذا الإمام ومن جاء على نهجه ، من أصحاب التفسير البيانى للقرآن الكريم ، كالقاضى عبد القاهر الجرجانى والزمخشرى وغيرهما .

٢- وقول الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [١] فنقول لمن خالفنا : أخبرونا متى خاطبها الله أقبل أن يكونا أو بعد ماكانتا ؟!

فإن قالوا : قبل أن يكونا .

قلنا لهم : فكيف يخاطب الله ، عز وجل ، شيئا لم يكوِّن ولم يخلق ؟!

وإن قالوا : خاطبهما بعدما كانتا .

قلنا لهم : فكيف يخاطب الله ، سبحانه ؛ شيئاً قد كان وخلقه !.. **فيقول له** : « ائت وكن » . وقد جاء وفرغ ؟!

فلا يجدون حجة يدفعونا بها .

وإنما هذا على معنى أن الله ، عز وجل ، خلقهما [٢] وحيث أرادهما ، فجاءتا كما أراد ، وليس ثَمَّ كلفة ولا اضطرار ولا قول « كن » لأنه الغنى لا يحتاج إلى شئ واحد من جميع الأشياء كلها ، ولو احتاج لشئٍ واحدٍ لاغيره بطل قوله : ﴿ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ [٣] ؛ لأنه غنى عن عباده على الحقيقة لا على المجاز .

* * *

قاعدة فى منهج الفهم :

وإنما هذه الأمثال والمعانى تحتاج إلى التأويل وطاعة العلماء والمستخلفين من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام ، وقد قال ، عز وجل ؛ ﴿ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [٤] .

١٤١ظ/ فاعلمك (الله) ، عز وجل ، أنه لا يعقلها [٥] إلا أهل العلم ، ولا علم لمن جهل معدن الحق وقدر النبوة وخيرة الأمة .

---

(١)سورة فصلت آية ١١ .

(٢) اى إنه تصوير ومجرد ضرب مثل لانفعالهما بالقدرة الإلهية ؛ ومجاز لا يؤخذ أبداً على حقيقته كما فعل بعض المشبهة والكرامية حيث يرون أن اضراب هذه الآية لا مجاز فيها ، انظر ابن قتيبه : مشكل القرآن ؛ ص ١٠٦ ، ١١٢ .

(٣) سورة لقمان : آية ٢٦ .. وهى جزء من آيات كثيرة . (٤) سورة العنكبوت آية ٤٣ .

(٥) العقل هنا بمعنى الإدراك .. عقل عقلاً : أدرك الأشياء على حقيقتها ، والعاقل : المدرك ، والعقل : ما يقابل العزيزة التى لا اختيار لها . ومنه : الإنسان حيوان عاقل .

وقوله – عز وجل : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [1] ؛ ومما عظموا به شان إبليس – عليه لعنة الله – ورفعوا به خطره وساروا بينه وبين الله ، جل الله عما قالوا وعلا علواً كبيراً .

* * *

الحشوية وروايات كاذبة :

١– من ذلك ما روته الحشوية [2] المبطلة أن إبليس – فيما زعموا – قال : «ما حمل بمحمول قط إلا وأنا أعلم متى حمل به ، ولا يولد مولود الا وأنا أعلم به إذا ولد ؛ إلا عيسى بن مريم فإنى لم أعلم به حين ولد» [3] .

وهذا القول كفرٌ بالله العظيم ؛ ورد لكتابه صراحاً والمساواة بين إطلاع الله ، عز وجل ، على علم الغيوب ، وبين اطلاع ابليس علي علم الغيوب لا فرق بين ذلك عندهم!

وفى قولهم نزل قول الله ، عز وجل : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) ﴾ [4] .

---

(١) سورة النساء آية ٨٣ .

(٢) الحشوية : قوم تمسكوا بالظواهر ، فذهبوا إلى التجسيم وغيره ، وأجروا تفسير القرآن على ظاهره ، وسموا بذلك لانهم كانوا فى حلقة الحسن البصرى ، فوجدهم يتكلمون كلاماً ، فقال : ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة ، فهم الحشوية بفتح الشين .

● وقيل : سموا بذلك ؛ لان منهم المجسمة ، أو هم أنفسهم المجسمة ، والجسم حشو ، وعلى هذا جاء قياس الحشوية نسبة إلى الحشو .

● وقيل : المراد بالحشوية طائفة – لا يرون البحث فى آيات الصفات التى يتعذر إجراؤها على ظاهرها ، بل يؤمنون بمااراده الله، مع جزمهم بان الظاهر غير مراد ، ويفوضون التاويل إلى الله ، وعلى هذا فإن إطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن .

● وقيل : الحشوية طائفة يجوزون ان يخاطبنا الله بالمهمل ، ويطلقون الحشو على الدين ، فإن الدين يتلقى من الكتاب والسنة ، وهما حشو اى واسطة بين الله ورسوله وبين الناس .

(٣) روى عبد الرازق بسنده عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «ما من مولود يولد إلا مَسَّه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخاً من مسه إياه ؛ إلا مريم وابنها» . ثم يقول ابو هريرة : اقرءوا إن شئتم ﴿ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) ﴾ سورة آل عمران ٣٦ .. وروى ابن جرير نحوه عن أبى هريرة .. كماروى عنه ايضا ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم» .. وروى الليث ابن سعد بسنده عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : «كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه حيث تلده امه إلا عيسى بن مريم ذهب يطعن ؛ فطعن بالحجاب» رواه البخارى – ومسلم (انظر ابن كثير ؛ ١ / ٣٨٥ – ٣٨٩) . وانظر الدراسة فقد شرحناه وبينا المراد منه باستفاضه .

(٤) سورة الجن الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

نقد المجبرة فى إكذابهم رب العالمين :

فنقول لهم : أخبرونا أيهما أصدق عندكم ، الذى رويتم عن إبليس فى قوله فى عيسى ، صلوات الله عليه ، وفى سائر الخلق ،الأنبياء من نوح إلى محمد ﷺ ، أنه علم بهم حيث حمل بهم ، وحيث ولدوا إلا عيسى عليه السلام ، أم قول الله ، عز وجل : ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ﴾ (٣) .. وكذلك إبليس لا يحمل بمحمول ولا يولد بمولود فى بر ولا بحر ولا سهل ولا جبلٍ إلا وهو يعلمه ، ويطلع عليه – على قولكم – وفى مذهبكم الباطل المبطل !! ..

فأخبرونى : أيهما أصدق عندكم روايتكم أم كتاب ربكم ؟! فإن قلتم ؛ **روايتكم أصدق عندكم من قول الله** ، عز وجل ، كفرتم بإجماع الأمة وخرجتم من الإسلام .

وإن قلتم : إن القرآن أصدق من روايتكم . رجعتم عن قولكم وفلجناكم وكان الحق معنا ، لا معكم ، بأوضح دليل وأبين شاهد .

وإن قلتم : إن كلا منهما صادق ، وروايتنا والقرآن كله صادق لا كذب فيه .

قلنا لكم : كيف يكون المتضادان المتنافيان المتخالفان صادقين جميعاً ! .. إذن لا يصح حق من باطلٍ ولا يعرف صواب من خطأ أبداً ؛ وهذا ما لا يكون ولا تقبله العقول .

* * *

فى نقد هذه الرواية الكاذبة :

ثم نقول لهم : متى أخبركم إبليس ، عليه لعنة الله ، بهذه الرواية التى رويتم عنه فى الأنبياء وفى العامة وفى عيسى، عليه السلام؛ ومن سمعه يقول هذا القول(٤)؟!

---

(١) سورة النمل آية ٦٥ .

(٢) سورة الجن آية ٢٦ .

(٣) سورة الأنعام آية ٥٩ .

(٤) جاء فى الأثر عن ابن عون عن محمد أنه قال : إن هذا العلم دين فلينظر الرجل عمن يأخذ دينه » انظر الدارمى ؛ ١ / ١٢٤ . ، وقال ، ﷺ . « من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . رواه مسلم .

فإن قلتم : سمعه الصدر الأول ، الذى يجب أن يكونوا بعد عيسى ، صلى الله عليه؛ ١٤٢و/ لأنه أخبركم - زعمتم أنه لم يعلم متى حمل بعيسى ، عليه السلام ، ولا متى ولد، وهذا القول يوجب أنه أخبركم به بعد عيسى، عليه السلام، لا شك فيه.

فنقول لكم : كيف وجب إخباره لكم بهذا الخبر أمواجهة بكلام منه ، إليكم كان؟!

فإن قلتم : مواجهة بكلام ،كذبكم قول الله ، عز وجل : ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ (١)

وإن قلتم ؛ سمعوه سماعاً بآذانهم .

لزمكم أن تصحوا هذه الرواية ؛ مَنْ سمعها ومن يشهد عليها ؟!.. حتى يلزمنا خبره وصحة حجته ، ولن تجدوا ذلك أبداً ؛ لأنه باطل ، وأنه لم يدع أحد من أهل الإسلام والعلماء والعارفين أنه سمع الجن سماعاً دون المعاينة إلا رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ؛ فإن الله ، عز وجلَّ ، أخبر عنه أنه قال فى كتابه : ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُنذِرِينَ ﴿٢٩﴾** ﴾ (٢) .

ولم يخبرنا - عز وجل - عن أحدٍ غيره أنه سمع الجن ولا رآهم .

وإن قلتم ؛ إن إبليس كتب إلى مشايخكم وفقهائكم كتاباً بهذا الخبر .

سألناكم عن الكتاب كيف كان ، ومن الرسول الذى وصل اليكم بكتاب إبليس ، ومن قرأه .. حتى أعلمكم بهذا الخبر فى عيسى ، عليه السلام ؟!.

وإن كان قد (٣) **قذفه فى قلوبكم . قلنا لكم فما الفرق بين قذف الله ، عز وجل ؛ فى** قلوب الأنبياء والملائكة المبلغين عنه الوحى إلى من دونه ، وبين قذف إبليس ومقدرته على قلوبكم باللطيفة التى لا يقدر على مثلها إلا رب العالمين ؟!..

فهنالك تبين فضيحتكم ، ويبطل قولكم ، وتفلج حجتكم ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٢) سورة الأحقاف آية ٢٩ .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

هل إبليس مضطر فى وسوسته لبنى آدم ؟!

وإن كان إبليس – على قود قولكم – مضطراً إلى القذف فى قلوب بنى آدم ، وهو مسلط عليهم وهم مضطرون أيضا إلى ذلك من إبليس ، **فقد وجب عذرهم وعذره** ، ولاجناح عليه ولا عليهم ، لقول الله ، عز وجل : ﴿ **إلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إلَيْهِ** ﴾ (١) فالله ، عز وجل ، لا يؤاخذ من اضطر إلى شئ من جميع الأشياء !

وإن قلتم : إنه يؤاخذ المضطر .

خالفتم القرآن ؛ ومن يخالف القرآن كفر بإجماع الأمة ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

هل لإبليس منقار كما تدعى المجبرة ؟!

وقد ذكر عن بعض من نظر فى هذا الباب من أنه وصف إبليس بأن له **منقاراً طويلاً** دقيقاً ، يدخله فى أذن الآدمى فيوصله إلي قلبه فيوسوس بذلك المنقار!

* * *

نقد هذا الكلام السخيف :

وهذا أحول المحال إذ جعل الله الحواس الخمس له على خلقه ليحسها ؛ فإذا غاب عن الحواس – مما لا تدركه – لم يلزمها فيه حجةٌ ، وكل من دخل فى أذنه شعرة فلابد أن ١٤٢ظ/ يحسها ، ويعلم بها ؛ إذ الحواس لابد لها من أن تحس ماوقعت / عليه أو وقع عليها .

وأنتم تعلمون وتشهدون لنا ، أن هذا المنقار لا علم لكم به ، إذا دخل فى الآذن ولا إذا صار فى القلب !

فإن قلتم : إن الله أقدره على ذلك .

لزمه الجور ، وأن لا قوة لنا على من فعل بنا هذا ، وأن حجتنا عليه قائمة ؛ إذ كلفنا ما لا نطيق ؛ وقد نهانا أن لا نطيع إبليس ؛ فكيف ينهانا عن أمر قد ألزمناه بعد ما قال : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ (٢) و ﴿ **إلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾ (٣) ؟!.. ولا يكون

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٩ . (٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ . (٣) سورة الطلاق آية ٧ .

الجور إلا مثل هذا الذى وصفتم به خالقكم ، عَزّ عن ذلك وتقدس وعلا علواً كبيرا[1] .

***

المجبرة تبطل الشرع والعقل معاً :

وهذا ، الذى قلتم ، يبطل درك الحواس ومعرفتها بممازجها ، وهذا مكابرةٌ العقول، ومن كابر العقول وجب أن لا يخاطب ، وما خرج من المعقول وجب إكذابه ، وما وجب إكذابه لم يكن بدين ، وما لم يكن بدين فهو ضد للدين ، وما كان ضد للدين أورث النارا . .

أسأل الله ، سبحانه ؛ النجاة من النار برحمته والسلامة من الخطأ فى دينه ، والقول عليه بما يخالف كتابه المبين من الجبر والتشبيه وإكذاب الوعد والوعيد ، وإزالة الحق عن معدنه ، والاحتجاج فى **تقوية** إبليس وجنوده ، **والتسوية** بينه وبين من ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴿١١﴾ ﴾[2] .

* * *

(١) يعتقد المجبرة : ان الله يامر ولا يريد ان يؤتى امره . وينهى وهو يريد ان يؤتى نهيه !

(٢) الشورى آية ١١ .

الحجة الثالثة

الله لا يفعل الجور ولا يضل العباد ولا يصدهم عن الرشاد

ومن الحجة لنا فى إبطال مقدرة إبليس ، عليه لعنة الله ، على الخلائق وضعفه وعظيم عجزه ، أن الله ، عز وجل ، لا يفعل الجور ولا الفساد ولا يضل العباد ولا يصدهم عن الرشاد .

فإنه حذرنا عن إبليس ، فى غير موضع من القرآن (الكريم) [١] ، وأمرنا أن لا نفعل كفعله ، من ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [٢] .

وأنتم – أيها المخالفون لنا – تشهدون وتعرفون أن أحداً لم يعبد إبليس قط ، ولم يصم ولم يزك (له) [٣] ولم يحج ؛ وإنما المعنى فى ذلك يخرج على لغة العرب المعروفة بينهم ، وأن تلك العبادة [٤] هى طاعة إبليس فى اتباع هواه ، والميل عن الحق إلى مراده ورضاه ، فسمى ذلك عبادة ، كما تقول العرب : فلان يعبد فلاناً . يعنون أنه يطيعه ويصير إلى أمره وقال الشاعر [٥] :

بجيش تظل البلقُ فى حجراته .. ترى الأكم فيه سُجَّداً للحوافر [٦]

يعنى أن الأكم مطيعه لحوافر الخيل .

وقال الله ، عز وجل : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ [٧] ، والداخل لا يكون ساجداً ، ١٤٣ط / وإنما المعنى فيه ادخلوا الباب مطيعين [٨] ؛ فجاز ذلك فى / لغة العرب .

* * *

---

(١) زيادة ليست فى الأصل .

(٢) سورة يس آية ٦٠ .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

(٤) العبادة تعنى الخضوع للإله على وجه العظيم ، والعبودية : انقياد وخضوع ودول واستسلام .

(٥) هو زيد الخيل ، ١ / ٣٥٨ الكامل للمبرد .

(٦) هذا البيت من بحر الطويل ، ومعناه أن حوافر الخيل قد اقتلعت الأكم ووطئتها حتى خشعت . وانخفضت ، تأويل مشكل القرآن ، ص٤١٧ ، وقد روى (. . تضل البلق) فى أغلب كتب اللغة ، انظر الأغانى ١٦ / ٥٢ ، والأضداد ، ص٢٥٧ .

(٧) سورة البقرة آية ٥٨ .

(٨) فى صفوة التفاسير : سجداً : خضعاً متواضعين خاشعين ، شأن التائب من ذنوبه .

من عدل الله خطاب الخلق بما يعقلون ويفهمون :

وليس يجوز فى عدل الله ، جل ثناؤه ، أن ينهى عن أمر لا يقدر أحد على دفعه عن نفسه ، ولا يجوز أن يحذرنا عن أمر لا نعقله ، ولا نقف على كيفيته ، ولا نهتدى إلى وصفه ، ولا ندرى حتى يقع بنا من ليل أو نهار ، لا فى سفر ولا فى حضر ولا فى بر ولا فى بحر ؛ لأن هذا ليس من صفة العادل الحكيم الرحيم المتفضل الحسن الفعل الذى لا يجور ولا يظلم .

* * *

قصة من الإمام أحمد للتقريب والتفهيم :

ثم نقول لمن خالفنا : هل يجوز لرجل من علمائكم وأهل دينكم وأهل الورع والنصفه والكف عن القبيح منكم ، أن يخرج برجل من إخوانه إلى رأس جبل مرتفع فى الهواء ، ثم يوقفه على حرف الجبل ويرديه الهوى البعيد ، الذى لو زلت فيه الطير لكادت أن تعطب مثلاً !

ثم يقول له : احذر فلان أن تسقط من هذا الرأس الطويل إلى هذا القرار البعيد فتهلك ، وتقطع قطعة قطعة .

ثم يتحيل عليه ثم يدفره [1] ، فإذا هو فى أسفل الحضيض ، فما يسمى ذلك الرجل أعادل أم غيرها عادل ، أظالم أم غير ظالم ؟!

فإن قلتم : إنه غير ظالم ولا جائر.

خرجتم من حد من يكلم وكفانا جهلكم من مناظرتكم .

وإن قلتم : إنه جائر غير عادل ، وظالم غير منصف .

كان ذلك من الحق ، ولزمكم أن تنزهوا خالقكم العادل الحكيم البر الرحيم ، عن الأوصاف التى تليق بالجورة الظالمين.

* * *

---

(١) دفره : دفعه فى قفاه أو فى صدره .

لا يعقل أن يحذرنا النار ويدس علينا إبليس لنقع فيها :

ونقـول لكم : فهل يجوز – عندكم – على قياس هذا الكلام – أن ينزّلَ ربكم العظيم الكريم العادل الحكيم على نبيه ، ﷺ [1] ، يحذرنا عن النار ، وعن عمل يقربنا إلى الخلود فيها أبد الأبيد ، فيقول ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦** ﴾ [2] ، ثم يدسُّ عليهم إبليس وجنوده فى خفاء ، فيأتونهم من المواضع التى لا يقدرون على الحذر منها ولا الاتقاء لوقوعها ، ولا يدرون ما ينجيهم من ليل أو نهار، فيدخلهم فى الخطايا ويأمرهم بها ، ويقدرهم عليها وهو قادر عليهم ، لا حيلة لهم عن دفعه عن أنفسهم ، ولا الحذر عما حُذروا منه .

فهو عند ذلك ؛ إن صح هذا القول هو الذى دفرهم فيجهنم ، كما دفر ذلك الرجل العابد الصالح صاحبه من رأس الجبل إلى الأرض ؛ لا فرق بين ذلك بمقياس شعرة ، فميزوا ما قلنا ، وجانبوا الهوى ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، فإنه لا يجوز على الله، عز وجل ؛ أن ينهى عن أمر ، ثم يوقع فيه ، عز عن ذلك ربنا وتعالى الرؤوف الرحيم .

* * *

النفس هى التى توسوس لا إبليس :

قال الله، عز وجل: ﴿ **وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦** ﴾ [3] ١٤٣ظ/ فتجد النفس هى التى توسوس لا إبليس ، وقال الله ، عز وجل ﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ** ﴾ [4] فنجد نفس هذا طوعت له قتل أخيه لا إبليس .

– وقوله ، عز وجل : ﴿ **وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ** ﴾ [5] فنجد الأنفس هى الموسوسة .

– وقال ، عز وجل : ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ [6] فلمْ تجعلوا بعض هذا القول

---

(١) زيادة ليست فى الأصل .

(٢) سورة التحريم آية ٦ .. وقد جاءت فى الأصل هكذا ﴿ **اقوا النار التى وقودها** ﴾ وهو خطأ .

(٣) سورة ق آية ١٦ .

(٤) سورة المائدة آية ٣٠ .

(٥) سورة المجادلة آية ٨ .

(٦) سورة يوسف آية ٥٣ .

الذى وصف الله ، عز وجل ، عن النفس ، كما جعله ، بل جعلتم ذلك كله من فعل إبليس ، وخالفتم القرآن ؛ لأن الله ، عز وجل ، أخبرنا بعظيم قدرته على الأشياء والقوة الباهرة التى بان بها عن ما خلق ، فقال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [1] فزعموا أن إبليس يوسوس فى قلب الآدمى!

* * *

من زعم قرب إبليس كقرب الله منا ساوى بينهما :

فصار إبليس أقرب إليه من حبل الوريد أيضاً ! . . فإذاً لا فرق بينه وبين الله ، عز وجل ، فى القوة القاهرة ، والقوة الباهرة .

فإذاً القوم يوجبون من التعظيم والتقويه والعز والسلطان ، لعدوهم إبليس الذليل الضعيف ، مثل ما أوجبوا لله ، عز وجل ، من عظيم القوة والسلطان ! . . وهذا غاية ما يكون من الجهل والعمى [2] وقلة النصفة والذهاب عن طريق الحق ، الذى لا يساوى الله ، عز وجل ، فى قدرته وقوته ولطائف صنعه أحد من جميع خلقه ، حاش لله من ذلك وعزَّ الله وعلا علواً كبيراً .

* * *

---

(١) سورة ق آية ١٦ .

(٢) فى الأصل : العما .

الحجة الرابعة

قال السامرى : سولت لى نفسى

ومن الحجة عليهم أيضًا ، إخبار الله ، عز وجل ، عن **السامرى** إذ قال لموسى ، صلى الله عليه : ﴿ **كَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾** ﴾ [١] ولم يقل وسوس إبليس .

* * *

وجوه تفسير: وشاركهم فى الأموال:

وأما ما ذكر الله ، عز وجل ، فى قوله : ﴿ **وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾** ﴾ [٢] ، فقد قالت العلماء فيه بوجهين :

أحدهما : أن هذا على طريق التهدد والتخويف ، مثل ما تقول العرب للرجل : اذهب اقتل فلانا . على طريق التهدد له ، لا أنهم أرادوا قتله !

ومثل قول **أمير المؤمنين على بن أبى طالب** ، صلوات الله عليه ، حيث قال **لطلحة والزبير** : اذهبا اخرجاها . يعنى **عائشة** ؛ يريد بذلك التقريع لهما ، وهو لا يريد خروجهما بها تحاربه ، ولا أن تعصى الله ، عز وجل ، فى خروجها من منزل رسول الله ، ﷺ وعلى آله وسلم ، الذى أمرها ، عز وجل ، أن تقرَّ فيه [٣] ، وإنما هذا على حد التوقيف والتقريع ، ومثله كثير فى اللغة [٤] .

والوجه الآخر : أنهم إذا زنوا صارت أولادهم أولاد حرام ، وكل حرام مشارك لمعصية إبليس ، وكذلك إذا تعاملوا بالربا صاروا مشاركين لإبليس فى معصيته ، عز وجل .

---

(١) سورة طه آية ٩٦ . (٢) سورة الإسراء آية ٦٤ .

(٣) قال تعالى : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ** ﴾ سورة الاحزاب آية ٣٣ .

(٤) عقد ابن قتيبة فى كتابه « تاويل مشكل القرآن » باباً سماه « **باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه** » من ص **٢٧٥ - حتى ٢٩٨** ، ذكر فيه تسعة وعشرين نوعاً من هذه الألفاظ ، أما ما خرج به الإمام أحمد آية الإسراء / ٦٤ ، فقد ذكره ابن قتيبة فقال : « **ومنه أن يأتى الكلام على لفظ الأمر** وهو تهديد ، كقوله : ﴿ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ** ﴾ سورة فصلت / ٤٠ . ٤٠ ص ٢٨٠ .

إنـه الهوى:

وأمـا قـوله ، عـز وجل ، : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الـشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ ١٤٤و / إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (١) .

ولا يخـرج هذا عندنا إلا إنـه الهـوى (٢) الذى زين لهـم وأطغـاهـم وسـوَّل لهـم وأرداهم ؛ لأنه يلزمهم لنا أن إبليس لم يخرج إليهم مواجهة ، ولم يروه عياناً ؛ لقول الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (٣) فقد سقط هذا الوجه .

والوجـه الآخـر : أن ليس فى قوته ولا مقدرته أنه يوسوس فى صدورهم يوم بدر جميعاً ، وهم عسكر عظيم فى ساعة واحدة ؛ إذ ذلك أمر لا يقدر عليه إلا الله ، عز وجل ، القوى القادر ، هذا وجه قد سقط أيضا (٤) وفسد .

والوجه الثالـث : أنه – أى إبليس – لم يرسل إليهم رسولاً يخاطبهم عن نفسه .

والوجه الرابـع : أنه لم يكتب إليهم كتاباً يقرؤنه .

فكيف لنا بتصديق من خالفنا ، ونحن نجده ساقط الحجة داحض المقالة نازحاً عن الحق ؛ لأنه لم تصح دعواه ، ولم يخرج – فى واحد من هذه الوجوه التى لا يعرف الناس وصول الأخبار إلا بها ، ولا تَدُلُّ نزل العقول إلا عليها .

* * *

زعم المجبرة أن لإبليس استطاعة على قلوب بنى آدم :

فإن قال قائل : إن الله ، عز وجل ، جعل له الاستطاعة على قلوب بنى آدم ، وجعل لهم الاستطاعة على دفعه عن أنفسهم .

---

(١) سورة الأنفال آية ٤٨ .

(٢) روى الدارمى فى سننه ١ / ١٠٣ عن الأوزاعى بسنده أنه قال إبليس لأوليائه : من أى شئ تأتون بنى آدم ؛ فقالوا : من كل شئ . قال : فهل تأتونهم من قبل الاستغفار ؟

فقالوا : هيهات ، ذاك شئ قرن التوحيد ، قال : لابشئ فيهم شيئا لا يستغفرون الله منه ، قال : فبث فيهم الأهواء .

وكان الشعبى يقول : إنما سمى الهوى ، لأنه يهوى بصاحبه ١ / ١٢٠

(٣) سورة الأعراف آية ٢٧

(٤) فى الأصل : أيضى .

قلنا له : هذا ما لا يجوز على الله ، عز وجل ؛ لأن الله ، عز وجل ، خلق إبليس للعبادة لا للمعصية ، وكلف بنى آدم الطاعة ، وجعل لهم السبيل إليها ؛ ولو كان إبليس يقدر على وسوسة قلوبهم بلطيفة لا يعلمونها ، لم يكن لهم إلى دفع ذلك سبيل؛ لدقته عليهم !

فكيف يدفعون عن أنفسهم أمراً - زعمتم - أنه يدق ويلطف عن فطن الخليقة وأذهانهم ، ثم يعطون الاستطاعة على دفع ما لا تقع عليه الاوهام ، ولا تبلغه الظنون ولا تدركه الحواس؟!..

وما لا تدركه الحواس فلا سبيل لأحد إلى معرفته إلا الله الواحد الذى دلَّ على نفسه معرفته بآثار صنعه الدقيق اللطيف ، فما الفرق بينه وبين من خلقه ؟!

وإن قلتم : الله أقدره على ذلك .

قلنا لكم : فقد خلق إذاً رباً - على قولكم - يساويه فى القدرة والقوة والعز والسلطان وهو أعدى [1] الخلق له ، وقد قال ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴿١١﴾ ﴾ [2] !

فلا مخرج لكم من هذه الحجج إلا بالمكابرة والمغالطة والتسوية بين الله ، عز وجل ، وبين إبليس فى القوة والقدرة ؛ لأن الله ، عز وجل ، يقول ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** ﴾ [3] .. وزعمتم - أنتم - أن إبليس يحول بين المرء وقلبه ، فلا نجد فرقاً بين الله ، عز وجل، وبين عدوّه الذليل الضعيف العاجز المقهور !

فإن قلتم : إن الله أقدره على بذلك .

قلنالكم : فاين قوله ﴿ **ليس كمثله شئ** ﴾ .

فإن قلتم : ليس هو مثله .

قلنا لكم : من كان قادراً كقدره الله ، عز وجل ، فقد ساواه .

---

(١) فى الأصل : أعدا .

(٢) سورة الشورى آية ١١ .

(٣) سورة الأنفال آية ٢٤ .

١٤٤ظ/ وأما قول إبليس ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [١] فإنه كذب على الله ، سبحانه ؛ لأنه لم يغوه .

وقال بعض أهل العلم : إنه يخرج على أنه سماهُ غاوياً ، فقال : أغويتنى ،أى سميتنى غاوياً [٢] .

فأما ما خاطب الله ، عز وجل ، به إبليس فى بدء الأمر ، يوم عادى [٣] آدم ، فذلك له معانى يخرج عليها ، وقد يذكر بنى آدم وينسب بعض فعلهم إلى بعض ، مثل ما قال لقوم من بنى إسرائيل ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [٤] يريد بذلك أباءهم ، وهم [٥] لم يقتلوا ، وإنما أخبر عن أبائهم - عز وجل - فهو مثله سواء. لابدَّ لكم من ذلك .

ولا مخرج لكم منه ، حتى ترجعوا إلى الحق فتقولوا أن ليس أحد من جميع الخلق- لا إبليس ولا غيره - يقدر على وسوسة القلوب ولا تصريفها على مراده ، إلا الله، عز وجل ، لا نظير له ولا مساوٍ ولا مشابه ولا عديل ولا مثيل ، بوجه من الوجوه ، ولا سبب من جميع الأسْباب ، ومن لم يجبنا إلى هذا القول فقد كفر ؛ لأنه إن خالفنا ساوى بينه وبين خلقه !.. وهذا هو الشرك الأعظم والكفر الأفحش الذى لا كفر بعده .

* * *

---

(١) سورة الحجر آية ٣٩ .

(٢) انظرهذه المادة فى المعجم الوسيط ٢ / ٦٧٣ .

(٣) فى الأصل : عادا .

(٤) سورة البقرة آية ٩١ .

(٥) فى الأصل : هم هم

الحجة الخامسة

المجبرة تروى كثيراً من الأكاذيب عن الجن أو منهم !

ومن الحجة على من خالفنا ، أنا وجدناهم - جميعاً - إذا ذكروا الجن أو حدثوا عن أخبارهم ، لا يحدثون عنهم إلا بكلام نطقوا به ، وأخبار أخبروا بها ؛ لا وسوسةٍ - كما ادعوا أنهم يوسوس - فى صدورهم !

- من ذلك ما رووا عن حديث خفاف أيام مبعث النبى ، صلى الله عليه وعلى آله؛ إذ أخبر - على زعمهم - أنه كان له صديقٌ من الجن ، فكان يخبره بمبعث النبى صلى الله عليه وعلى آله ، وأنه كان يأتيه كل ليلة فيركضه برجله ، ويقول : انتبه ياخفاف فقد بعث رجل من بنى عبد مناف ، رجل أتى بالعدل والإنصاف فارحل إليه **ياخفاف**..!

وهذا خبر يطول ، وفيه أشعار للجن اختصر عامة ذلك ، فمما رووا من شعر الجن- زعموا - هذه الأبيات :

عجبت للجن وإبلاسها ... ورحلها العيس بأحلاسها

تمضى إلى مكة تبغى الهدى ... وما مؤمنوا الجن كأرجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشمٍ ... واسم بعينيك إلى رأسها (١)

* * *

---

(١) قارن أبا نعيم : دلائل النبوة ، ص ٣١ - ٣٢ .

والحديث بتمامه ،روى أبو نعيم بسنده عن محمد بن كعب القرظى قال: بينا عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، قاعد فى المسجد، إذ مر رجل فى مؤخر المسجد ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أتعرف هذا المار ؟

قال : هذا سواد بن قارب ، وهو رجل من اهل اليمن ، له فيهم شرف وموضع ، وهو الذى أتاه رئيه بظهور رسول الله ، ﷺ .

فقال عمر : علىَّ به ، فدعى .. فقال عمر .. أنت سواد بن قارب .

قال : نعم. قال : فأنت الذى أتاك رئيك بظهور رسول الله ، ﷺ .

قال : نعم . قال : فأنت على ماكنت عليه من كهانتك ؟!

فغضب غضباً شديداً ، وقال يا أمير المؤمنين ، ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت .

فقال عمر : سبحان الله .. والله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك ، أخبرنى بإتيانك رئيك بظهور رسول الله ، ﷺ .

كذب المجبرة على الجن :

وهذه الأحاديث والأشعار ، التى ادعوها ، توجب المواجهة وتبطل الوسوسة .

وزعموا أن الجن يكلمونهم ويرونهم فى مواطن من الأرض معروفة ، منها مواضع

= قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان ، إذ أتانى رئيى ، فضربنى برجله ؛ .

وقال : قم ياسواد بن قارب ، فافهم واعقل ، إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتجساسها .. وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى .. ما خير الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم .. واسم بعينيك إلى راسها

فلم أرفع بقوله راساً . وقلت : دعنى أنام ، فإنى أمسيت ناعساً .

فلما أن كان الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله ؛

وقال : ألم أقل لك ياسواد بن قارب ؟!!.. قم فافهم واعقل ، - إن كنت تعقل - إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب، يدعو إلى الله وإلى عبادته . ثم أنشأ الجنى وجعل يقول :

عجبت للجن وأخبارها .. وشدها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى .. مامؤمنوا الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم .. بين روابيها وأحجارها

فوقع فى نفسى حسب الإسلام ورغبت فيه ، فلما أصبحت شددت على راحلتى ، فانطلقت متوجهاً إلى مكة ، فلما كنت ببعض الطريق ، أخبرت أن النبى ، ﷺ ، قد هاجر إلى المدينة ، فأتيت المدينة . فسألت عن النبى ، ﷺ فقيل لى : فى المسجد . فانتهيت إلى المسجد ، فعقلت ناقتى ، وإذا رسول الله ، ﷺ ، والناس حوله .فقلت : اسمع مقالتى يارسول الله .

فقال أبو بكر : ادنه ادنه ، فلم يزل بى حتى صرت بين يديه .

قال : هات .. فأخبرنى بإتيانك رئيك .

فقلت :

أتانى بجنى بعد هدوء ورفدة .. فلم أكُ فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليالٍ قولهُ كل ليلة .. أتاك رسول من لؤى بن غالبِ
فشمَّرْتُ من ذيل الإزار ووسطت .. بى الذعلب الوضاء بين السباسب
فأشهد أن الله لارب غيره .. وأنك مامون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة .. إلى الله يابن الأكرمين الأطالب
فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى .. وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لى شفيعاً يوم لاذو شفاعة .. سواك ، تغنى عن سواد بن قارب .

قال : ففرح رسول الله ، ﷺ ، وأصحابه بإسلامى فرحاً شديداً ، حتى رؤى فى وجوههم .

قال : فوثب إليه عمر فالتزمه . وقال : كنت أحب أن أسمع هذا منك .

وقد أوردناها ليتبين القارئ بنفسه فى أى فن من الفنون نضع هذه الروايات .

انظر أبو نعيم : دلائل النبوة ؛ ص١٣٢ ، ١٣٣ .

قد سموها ، وذكروها فى أشعارهم منها ، البدئ وعبقر ودسمار ، وكل هذا – عند ١٤٥و/ أهل العلم – باطل لا يجوز ؛ لقول الله ، عز وجل ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [١] وإنما أجرينا هذا لدعواهم / علينا الوسوسة ، وروايتهم فى الجن أنهم يكلمونهم كلاماً ، **فلاندرى أيهما نصدقهم فيه الوسوسة أم الكلام مشافهة** ؟! وهذا ينقض بعضه بعضاً .

* * *

(١) سورة الأعراف آية ٢٧ .

الحجة السادسة

إبليس الإنسان هواه

ومن الحجة لنا فى الهوى قول الله ، عز وجل : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ ﴾[2] ، وقوله ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾[3] ، وقوله ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[4] .

وآيات كثيرة يطول بها الشرح ، **فوجدنا الهوى هو الذى يميل بالأدميين عن الطاعة إلى المعصية** .

* * *

لا أساس لدعوى المجبرة فى الوسوسة :

وضح لنا ذلك ، ولم نجد الوسوسة – التى ادعوا – تصح ، ولا يقوم بها حجة إلا ما تعلقوا به من المتشابه ، الذى له التاويل الذى جهلوه ، وغلطوا فى معانيه ، ولا حجة معهم يقهرون بها من خالفهم ، والحق أوضح من الشمس الطالعة .

وقد ذكرنا من الحجج ما فيه الكفاية – لمن أنصف من نفسه ورجع عن غلطه – والحمد لله رب العالمين .

* * *

احتج المجبرة بما حدث لأيوب :

ومما احتجوا به على أهل العدل ؛ قول الله ، عز وجل ، فى النبى أيوب ، صلى الله عليه ، حيث قال ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾[5] ، وزعموا فى رواياتهم أن الله ، عز وجل ، سلَّط إبليس علي وليه ونبيه أيوب ، عليه السلام ، فأفنى[6]

---

(١) سورة ص : آية ٢٦ .
(٢) سورة محمد آية ١٤ .
(٣) سورة القصص آية ٥٠ .
(٤) سورة النازعات آية ٤٠ .
(٥) سورة ص : آية ٤١ .
(٦) فى الأصل : فافنا .

أمواله، وقتل عياله ، ونفخ فى بدنه فأصابه بالعلة التى مرض منها دهراً من دهره ، حتى جرى الدود فى لحمه ، وذكروا أن ذلك أصابه لخطيئة عصى الله ، عز وجل، فيها، ورووا فى ذلك أحاديث يطول شرحها اختصرناها لمعرفة الناس بها [1].

وزعموا أن إبليس استأذنه فى هلاكه ، فقال قد سلطتك على كل شئ إلا على عقله وقلبه !..

وهذا نقض القرآن ، والذى روى **الهادى إلى الحق** [2] ، صلوات الله عليه ، أنه قال: «إن أيوب ، صلوات الله عليه ، كان صاحب قراء وطعام للناس ، وكانت الأضياف تأوى إلى منزله ؛ لفضله وفعاله الجميل ، فلما كان فى وقت من ذلك غاب عن منزله ، صلوات الله عليه ؛ ثم غدا راجعاً إلى أهله فلقيه رجل قد غدا من منزل أيوب ، فسأله: من أين خالفه ، وأين بات ؟

فقال : بت في منزل أيوب ، قال : فما كنت وما قرؤك ؟

قال : بت عنده [3] بلا عشاء ، فاغتنم أيوب ، صلى الله عليه ، لذلك، ومضى إلى

---

(١) انظر البخارى ، كتاب « الغسل » ، باب « التستر فى الغسل عند الناس » ١ / ٤٦١ . وأحمد فى مسنده ٢ / ٢٤٣ .. ومواضع أخرى .. والطيالسى حديث ٢٤٥٥ . وابن كثير فى تفسير الآية ذكر الاثر كاملاً جـ ٤ / ٤٢ - ٤٣ .. وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ سورة الأنبياء/ ٨٣ - جـ ٣ / ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسنى العلوى الرسى : إمام زيدى ولد بالمدينة سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م . وكان يسكن « الفرع » من أرض الحجاز ، مع أبيه وأعمامه . ونشأ فقيهاً عالماً ورعاً ، فيه شجاعة وبطولة . وصنف كتباً ، منها « الجامع » ويسمى « الإحكام فى الحلال والحرام والسنن والأحكام » و « المسالك فى ذكر الناجى من الفرق والهالك ، وله رسائل كثيرة .

وراسله **أبو العتاهية الهمدانى** ، وكان من ملوك اليمن ودعاه إلى بلاده ، فقصدها ، ونزل بصعدة سنة ٢٨٣هـ فى فى أيام المعتضد ، وبايعه ابو العتاهية وعشائره وبعض قبائل خولان وبنى الحارث بن كعب وبنى عبد المدان ؛ وخوطب بأمير المؤمنين ، وتلقب بالهادى إلى الحق . وفتح نجران ، وأقام بها مدة .

وقاتله عمال بنى العباس ، فظفر بعد حروب . وملك صنعاء سنة ٢٨٨ ، وامتد ملكه ، فخطب له بمكة - سبع سنين ، وضربت السكة - باسمه . وفى أيامه ظهر فى اليمن **على بن الفضل القرمطى** ، وتغلب على أكثر بلاد اليمن، وقصد الكعبة سنة ٢٩٨ ليهدمها ، فقاتله الإمام يحيى ، وعاجلته الوفاة بصعدة ، ودفن بجامعها ، وكان قوى الساعد ، يمسك الحنطة بيده فيطحنها ؛ واسم فرسه الذى يقاتل عليه « أبو الهماجم » واكثر من ملك اليمن بعده من ائمة الزيدية هم من ذريته . **ولعلى بن محمد بن عبيد الله العلوى** ، كتاب فى « سيرته » . انظر الزركلى : الأعلام ؛ ٨/ ١٤١ .

(٣) زيادة بالهامش .

أهله فسألهم عن ذلك الضيف ، ولا مهم ؛ حيث غفلوا عنه وحلف لمرته ، وكانت مرته ، رحمة بنت يوسف بن يعقوب ، صلوات (الله) [1] عليهم ، فحلف ليجلدنها مائة ضربة ، إذ قصرت فى ضيفه ، فلما حلف ندم على يمينه ، إذ لم يلزمها ذلك / ١٤٥ط / الأدب الذى حلف لها عليه ، فجعل يقول : قد حلفت بالله لأضربنها ، هل يجوز لى أن أحنث ، وقد حلفت بالله ؟!

ثم رجع إلى نفسه فيقول : ليس عليها لى ذنب وهذا أمر لا يلزمها ، فما زال كذلك يدير فكره ويروض أمره ، حتى أورثه ذلك غماً عظيماً داخل قلبه فمن شدة الغم لزمه المرض ، فمرض حتى نغل [2] لحمهُ وجرى فيه الدود ، وضاعت أمواله وتأذى به أهل البلد .

وقد ذكروا أن رجلاً كان يقول لأصحاب أيوب الذين أسلموا معه : لو كان الرجل على حق ودين ما أصابه كل هذا البلاء الذى أصابه ، ويأتى إلى القرية فيحذرهم ، وعن مرته أن تقربهم ، لحال ريحه وشدةُ مرضه ، فذلك الرجل الذى عنى ، صلوات الله عليه [3] ، حيث قال : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [4] ، فكان ذلك الرجل شيطانه الذى هو من شياطين الإنس .

والدليل على ذلك أن الله ، عز وجل ، أخبرنا فى كتابه أنه قال لإبليس ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [5] وأيوب ، صلى الله عليه، من خيار عباده الذين أثنى عليهم ، فقال فيه خاصة : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [6] ولو كان أيوب عنى الشيطان الجنى حيث قال ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [7] للزمه أنه من الغاوين ؛ وأن [8] لإبليس عليه سلطاناً .

* * *

---

(١) زيادة ليست فى الأصل .

(٢) أى تغيرت رائحته وصارت نتنه .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

(٤) سورة ص آية ٤١ .

(٥) سورة الحجر آية ٤٢ .

(٦) سورة ص آية ٤٤ .

(٧) سبقت قريباً .

(٨) فى الأصل : ولأن .

قاعدة القرآن لا يتناقض .. وكل معنى متشابه له تأويل:

والقرآن لا يتناقض ولا يختلف [1] ، وأن لكل معنى من هذا الجنس تأويل يرده إلى الحق والعدل والحكمة والبراءة من التناقض والعيب والفساد .

وقد رووا عن امرأة أيوب ، صلوات الله عليهما ، أنها باعت إحدى ضفير [2] برغيف ، فاتهمها وحلف ليجلدنها مائة جلدة ، **وليس الخبر على ما قالوا** ، وإنما وجه الخبر على ما ذكرنا ، ولذلك قال الله ، عز وجل : ﴿ **وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾** ﴾ [3] .

فكيف يجوز أن يجلدها مائة جلدة ، ولا يقع الجلد إلا من زنا ؟!

وكيف تتُهم طاهرة صديقة بنت نبى ؟!.. وقد قال الله ، عز وجل ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾** ﴾ [4] وهذا هو القول ، لا ما قالوا من جهلهم وإسنادهم إلى أولياء الله ، عز وجل ، كل ظلم وكل بليَّة ، لا تحسن فى اليهود فضلاً عن غيرهم .

* * *

---

(١) حثنا الإسلام على التفكير والتدبر والتعقل فقال تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَم عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ..** ﴾ ، ﴿ **إِن فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ ، ﴿ **إِن فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ ، فكيف ينهانا ، تعالى ، عن الهوى وترك عدم التعقل الفهم ثم تتناقض كلماته !.. قال تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾** ﴾ النساء ٨٢ .. لقد أمرنا ، تعالى ، بتدبر القرآن وفقه معانيه ومقاصده ومراميه المحكمة العظيمة الجليلة ؛ واليقين أنه لا اضطراب ولا تناقض ولا اختلاف بين آياته ، فالقرآن لا يتعارض ، ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه التناقض والاختلاف وآثار التكلف والصنعة .

ولابد للمسلم من فهم المحكم منه ، ورد المتشابه إلى محكمه ، وسؤال أهل العلم الراسخين فى فهمه عند جهل تفسيره وتأويله يروى عنه ، ﷺ ، أنه خرج ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر ، فكأنما يفقأ فى وجهه حبُّ الرمان – من الغضب – فقال لهم : «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ، بهذا هلك من كان قبلكم» . قال : فما غبطت – أى الراوى – نفسى بمجلس فيه رسول الله ، ﷺ ، ولم أشهده ، ماغبطت نفسى بذلك المجلس أنى لم أشهده» .

وعن ابن العاصى عن رسول الله ، ﷺ ، قال : «إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به، وماتشابه منه فآمنوا به» . ولا يفهم القرآن على وجهه الذى أراده الله إلا أهل العلم والراسخين فى تأويله ، قال تعالى : ﴿ **وما يذكر إلا أولوا الألباب** ﴾ ، قال ابن كثير : أى إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعانى على وجهها ، أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة .

(٢) فى الأصل ظفريتها

(٣) سورة ص آية ٤٤ .

(٤) سورة النور آية ٢٦ . وقد ورد فى الآية خطأ فاحش فى الأصل صححناه

نقد المجبرة فى دعواهم أنه يجرى مجرى الدم

١- ومما احتجوا به **أن إبليس يجرى من الإنسان مجرى الدم** [١] ، وهذا خبر لم يات فى كتاب ولا سنة ، ولا أجمعت عليه الأمة ، وما ليس فى الكتاب ولا فى السنة ولا فى الإجماع ؛ فهو باطل ؛ لأن الله ، عز وجل ، يقول : ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾ [٢] يعنى من أمور الدين .

وقال : ﴿ **مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [٣] وهذا فلم يخبرنا به الرسول ، ﷺ .

وقال (ﷺ) [٤] : « **لا تجتمع أمتى على ضلالة أبداً** » [٥] .

ومن كان يجرى منا مجرى الدم فكيف نحذره ونتقيه ؟!

وكيف يخرج هذا فى حق العادل الحكيم الذى لا يجور على عباده ؟!

وما نقض العدل ووافق الجبر ، فقد صح فساده بلا شك :

* * *

كذبهم فى أنه ظهر ببدر:

٢- وقد رووا - أيضا - أن إبليس **ظهر لقريش** يوم بدر [٦] **فى صورة سراقة بن مالك** [٧] **بن جعشم المدلجى** ، حتى كلمهم . وقال : إنى جار لكم **من بنى بكر** حتى لا يخالف على مكة بعدكم .

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ، وهذا الحديث رواه البخارى والدارمى وأحمد بن حنبل فى مسنده فكيف قال الإمام أحمد (وهذا خبر لم يات فى كتاب ولا سنة ؟!) يبدو انه لا يعترف بكتب الحديث التى جمعها أهل الحديث فى عصره من غير أهل البيت أو اوليائهم أو اتباعهم .. او من غير المعتزلة والزيدية .. لعدم تمحيهم متن الحديث اتباعاً للمنهج الذى ذكره الإمام أحمد من قبل .

(٢) سورة الأنعام آية ٣٨ .

(٣) سورة الحشر آية ٧ .

(٤) ليست فى الأصل .

(٥) رواه ابن ماجة ، ٢ / ١٣٠٣ (كتاب الفتن - باب السواد الأعظم) ، وأبو داود فى سننه والدارمى ، والترمذى

(٦) انظر مغازى الواقدى ، ص ٤١ - ٤٣ - ٥٤ ، ٥٥ ؛ وانظر ابن كثير فى التفسير ٢ / ٣٥١ .

(٧) ليست فى الأصل .

فإن كان – هذا الباطل عندكم – حقاً فلا يخلوا أن يكون ما **رووه أصح وأصدق من القرآن** الذى قاله الله ، عز وجل : ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [1] فلابد من صدق أحد القولين ، وكذب الآخر بحيلة محتال .

* * *

نقد المجبرة فى أن إبليس يتصور فى صورتى :

وقولهم : إنه تصوَّرَ فى صورة سراقة . أعظم وأجل – عند أهل العقول والأفهام – لأنه إنما كان يتصور إذاأراد فى صورة ويحوِّل نفسه عن ما أحب من صورته ، فهو قادر قاهر ، إذ كان هذا فعله فى نفسه من نفسه !..

فلا بعد قدرة هذا قدرة ، وقد ساوى الله ، عز وجل ، فى قدرته على الأشياء ، ووجب أنه غير عاجز !

وإن قالوا : إنما الله الذى أقدره على أن يتصور كيف شاء .

قلنا لهم : فما الفرق فى روايتكم فى جبريل ، صلوات الله عليه ، أنه يتصور ، إذا جاء إلى النبى ، صلى الله (عليه) [2] ، فى صورة **دحية الكلبى** [3] ، وأن النبى ، ﷺ سأله أن يريَهُ كيف صورته مع الملائكة فوعده إلى منى [4] ، ثم جاءه ناشراً جناحيه ، حتى سد الأفق وغشى على النبى ، صلوات الله عليهما ، حتى رجع له فى صورة الآدمى ، وأمسك على قلبه ، حتى رجعت إليه نفسه بعد الفزغ [5] .

* * *

بين جبريل وابليس :

فإذا كان الله ، عز وجل ، أقدر وليَّة الكريم عليه – وهو جبريل ، صلوات الله عليه ،

---

(١) قبيلة من قبائل العرب تسكن قريباً من مكة .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) كان سيدنا جبريل ، عليه السلام ، أشبه الناس بدحية الكلبى ، انظر طبقات ابن سعد ج٣١ / القسم الثانى ؛ ص ٥٢ ، والإمام أحمد فى مسنده ؛ ٢ / ١٠٧ – ٣ / ٣٣٤ ؛ والواقدى ؛ ص ٣٦٠ .

(٤) فى الأصل : منا

(٥) رآه النبى ، ﷺ ، على هيئته ، انظر البخارى ؛ ٧ / ٣٦١ (كتاب بدء الخلق ، باب ٧) ومسلم ، كتاب « فضائل الصحابة » ، والترمذى ، واحمد ؛ ١ / ٣٢٢ ، والطيالسى ح ٣٥٨ ، ١٤٠٨ .

على هذه المنزلة الشريفة ، وفضله على غيره ، وأعظم عليه المنة ، لطاعته له وطول عبادته ، وأنه الروح الأمين ، والسفير الذى يجرى بينه وبين رسله ، عليهم السلام، وأنه إنما يتصور فى تلك الصورة لطاعته ومكالمة رسله (عليهم السلام) [1] فى البنية التى يسكنون إليها .

ثم يجعل لإبليس - الملعون - عدوَّه الكافر العاصى لأمره المغضب له ، من الدرجة ١٤٦ ط / والفضيلة والرفعة والمنزلة / الشريفة التى يتصور فيها إلى أوليائه الطاهرين ؛ ليضلهم ويغويهم ويعصيه فيهم ، ولا يفعل فيها له طاعة ولا رضاً ، فما الفرق - عندكم - بين جبريل ، صلوات الله عليه ، فى شريف الدرجة وبين إبليس - الملعون - الفاسق عن أمر ربه ؟!

وقال الله ، عز وجل ، في كتابه الصادق ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2] !..

والله ، تبارك وتعالى ، أجل وأعظم وأكرم وأحكم وأعدل ، من أن يعطى معجزاته من كذب عليه .

* * *

شبيه بما سبق مقالتهم فى فرعون:

وهذا مثل قولهم فى فرعون أن الله عز وجل ، أرسل معه النيل يسير إذا سار ، ويقف إذا وقف [3] ، فما الفرق بين معجزة موسى ، صلى الله عليه ، فى العصا ، وفلق البحر ، وبين مجرى الماء يسير مع عدو الله فرعون إذا سار ، ويقف له إذا وقف ؟!

وكيف تلزم الأمة حجة موسى دون حجة فرعون ؟!.. وممن يجب أن يكون التخليط أمن الناس أم ممن جعل مع موسى معجزةً ومع فرعون معجزة ؟!.. لايدرى الناس أيهما أحق بالرسالة ؛ لأن كليهما قد جاء بمعجزة باهرة لعقول الخلق - على قود قولهم !

---

(١) ليست فى الأصل .

(٢) سورة ص آية ٢٨ .

(٣) ربما فهموا ذلك - خطأ - من قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الزخرف ٥١ .

فيا سبحان الله العظيم كيف ذهبوا عن كتابه ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] فأى شئ أوضح من هذا الذى قالوا إفساداً، وأى أبطل منه؟!!.. ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[2] ، ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[3].

* * *

نقد المجبرة فى أن إبليس يعقد على المؤمن ثلاث عقد:

٣- وقد رووا أن النبى ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ قال «**إن إبليس يأتى أحدكم فيعقده ثلاث عُقد**»[4] ؛ وهذا من أعجب العجب أن رجلا يعقد ثلاث عقد، أو يعقد عليه ثلاث عقد ، وهو فى ذلك لا يعلم بها ولا يدرى متى عقدت عليه؛ لقليل الحذر من إبليس ، وأن من حذره منه المحذر ، يلزمه أنه حذره من أمر لا يعرفه، ولا يدرى كيف يحذر من يعقد عليه ثلاث عقد !!

وهذا كلام المجانين ، ومن ينبغى أن لا يخاطب لجهله ، أو لحاجته فى المغالطة ١٤٧و/ تنكف عن الرجوع إلى الصواب فيها ، فالله المستعان .

* * *

آيات تخرج على معنى الهوى:

١- وأما قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[5] فهذا يخرج على الهوى ، الذى هو رضاً للشيطان وطاعه له .

---

(١) صورة ص آية ٢٨ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩١ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٠٠ .

(٤) رواه البخارى ٤ / ٦ / ٣٨٦ (كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده) حديث (٣٢٦٩) ، ونصه عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال : « يعقد الشيطان على قافية أحدكم - إذا هو نام - ثلاث عُقد، يضرب على كل عُقدة مكانها : عليك ليل طويل ، فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عُقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » . وكذلك مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة ، والموطأ ، وأحمد .

(٥) سورة المائدة آية ٩١

٢- وقوله ﴿ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [١] فالشيطان لم يعمل الخمر ولا الميسر ولا الأنصاب ولا الأزلام بل كل ذلك عمل بنى آدم ، كماعملوا الطنابير [٢] والملاهى، وقد صح أنه لم يعملها ، وهى منسوبة إلى معصيته .

* * *

العمل غير الوسوسة:

٣- وزعموا أنه يوسوس ، ثم وجدناها هنا عملا أتى عمله ، والعمل غير الوسوسة، ورأينا بنى آدم الذين عملوا الأعمال ، التى هى سخط لله ، عز وجل ، فكيف هذا الأمر وهذا التخليط ؟!.. وإنما المعنى فيه أنه من جنس عمل الشيطان ، كما قال موسى ، صلى الله عليه [٣] .

لأنا لم نجد من عمل هذه الأعمال القبيحة غير بنى آدم ، وأنه لم يعمل الخمر ولاالمعازف ولا غيرها من الباطل ، وكل ذلك عملهم لا يقدر أحد أن يدفعنا عن ذلك من هذا القول ؛ لأنه نظر العيان ، ومكابرة العيان لا تجوز ، ولا إبليس بأضرَّ على الإنسان من نفسه ولا من عدوٍّ من شياطين الإنس الذين صح فعلهم وضررهم .

وعمل إبليس - الذى قالوا - من الدقائق ولطائف الصنع ، إنما هودعوى بلا بينة، والرد عليهم ما قد ذكرناه فى كتابنا هذا ، وفيه الكفاية الشافية ، إن شاء الله .

* * *

---

(١) سورة المائدة آية ٩٠ .

(٢) جمع طنبور : آلة من آلات اللعب واللهو والطرب ذات عنق وأوتار .

(٣) يشير إلى قول موسى ، عليه السلام ، بعد أن قتل القبطى ، آسفاً متحسراً : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ القصص / ١٥ وهو يعلم أن الشيطان لم يشاركه فى قتل القبطى ولم ينفرد دونه بذلك .. وإنما قام به وحده ؛ وإنما قصد أنه عمل من جنس عمل الشيطان .

الحجة السابعة

المقلوب من الكلام

ومن الحجة لنا على من خالفنا وصرف معانى القرآن ، على ما يظن هو ، قول الله ، عز وجل : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [١] .

فقال القائل : كيف خلق من عجل والعجل منه هو ؟

فعند ذلك يقال له : إن أهل اللغة واللسان العربى يقولون : إن مجاز [٢] ذلك مثل قولهم : عرضت الدابة على الماء ، يعنى الماء على الدابة .

ومثل قوله - تعالى ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [٣] ، وإنما الوجه أن تكون العيشة مرضية [٤] .

كما تقول العرب للناقة : راحلة ، وإنما هى مرحولة .

* * *

---

(١) سورة الأنبياء آية ٣٧ .

(٢) انظر ابو عبيدة : مجاز القرآن ، ١ / ٣٨ - ٣٩ (خلق العجل من الإنسان) .

(٣) سورة الحاقة آية ٢١ .

(٤) من باب اطلاق اسم الفاعل ، والمقصود اسم المفعول .

الحجة الثامنة

معنى أن إبليس يشاركنا فى أعمالنا سقوط العدل

١٤٧ط/ ومن الحجة أيضاً قول الله ، عز وجل ، فى ذكر إبليس ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ** ﴾[١] ، وكل معصية لا تجوز فى عدل العادل **الحكيم** ؛ لأنه لا يأمر بالباطل ولا يقضيه .

وكيف يشارك الشيطان الناس فى الأموال والأولاد ؟.

فالجواب لهم فى ذلك وبالله نستعين ، أن نقول لهم : إن ذلك جائز فى العربية ، أن يخرج الكلام فى لغة العرب من المتكلم مخرج الأمر ، ومعناه خلاف ذلك ؛ وإنما هذا عندنا – وعند أهل العلم والقول بالعدل – **على الوعيد والتهدد** ، كنحو قول الرجل للرجل : أجهد جهدك واجهد جهدك . كل ذلك على الوعيد والتهدد .

وقد تقول العرب للرجل : اذهب اقتل فلاناً ، واذهب اضرب فلاناً . على الوعيد له، وهم لا يريدون قتله ولا يحبونه ، ولا يريدون ذلك من الرجل الذى أمروه بفعله ، وهذا معروف فى كلام العرب غيرمنكر ؛ **وإنما نزل القرآن على لغة العرب وتصرفها فيما تعرف** .

وأما ما ذكره من مشاركة الشيطان فى الأموال والأولاد فإن ذلك ليس – عند أهل العلم – كمشاركة الآدميين ، وإنما هو كنحو قول السحرة لفرعون ﴿ **فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ** ﴾[٢] ، أى اصنع ما أنت صانع ، كل ذلك على التهدد والوعيد .

وأما قوله ، عز وجل ﴿ **فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ** ﴾[٢] في لغة العرب جائز أن يسمى الصانع للشئ قاضياً له[٣] .

قال الشاعر[٤] يصف درعين على رجلين فقال :

---

(١) سورة الاسراء آية ٦٤ .

(٢) سورة طه آيه ٧٢ .

(٣) انظر معانى القضاء فى اللغة ، لسان العرب ٢٠ /٤٧ ، ومقاييس اللغة ٥ /٩٩ . وهى تدور حول الحتم والأمر والإعلام والعمل والفراغ .. وهذا الإمام صاحب الرسالة وأباؤه اهتموا بالتفسير اللغوى للقرآن الكريم اهتماماً بالغاً .

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلى .

وعليهما مسرودتان قضاهما داودُ قدرهـا الحكيـم وتُبَّـعُ [1]

أى عملها « داود » .

وأما شركه لهم فى الأموال والأولاد ، فهو أن تؤخذ الأموال بغير حقها ، وأن يطاع الشيطان فى ذلك ، بطاعتهم له وفعلهم كفعله ، ومصيرهم إلى رضاه ؛ ومراده منهم؛ لأنه عدوهم وعدو أبيهم من قبلهم ، فصارت طاعتهم ، فيما أراد ، سبباً للشركة فى أولادهم وأموالهم .

ورووا عن جريح عن مجاهد فى قوله : ﴿ **وشاركهم فى الأموال والأولاد** ﴾ ، قال ما أكل من مالٍ بغير طاعة الله ، وأولاد الزنا [2] .

* * *

---

(١) البيت فى ديوانه ، ص ١٩ ، وفى لسان العرب لابن منظور ؛ ٤ / ٣٧٩ ، ١٠ / ٧٧ وجاء فى شطره الثانى هكذا . . (داود أو صنع السوابغ تُبَّعُ) وفى اللسان : سمع أن داود ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، كان سخر له الحديد ، فكان يصنع منه ما أراد ؛ وسمع أن تبعاً عملها ، وكان تبع أمر بعملها ولم يصنعها بيده ، لأنه كان أعظم شأناً من أن يصنع بيده . والتبابعة : ملوك اليمن واحدهم تبع ، سموا بذلك ؛ لأنه يتبع بعضهم بعضاً ، كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعاً فى مثل سيرته » .

(٢) جاء فى تفسير ابن كثير ؛ ٣ / ٥٦ ، ٥٧ : « قال **ابن عباس ومجاهد** : ها هو ما أمرهم به من انفاق الأموال فى معاصى الله ، وقال **عطاء** : هو الربا ، وقال **الحسن** : هو جمعها من خبيث وانفاقها فى حرام ، . وكذا قال **قتادة** .

وقال **العوفى عن ابن عباس** رضى الله عنهما : أما مشاركته إياهم فى أموالهم فهو ما حرموه من أنعامهم ، يعنى من البحائر والسوائب ونحوها ، وكذلك قال **الضحاك وقتادة** ، وقال **ابن جرير** : والأولى أن يقال : إن الآية تعم ذلك كله ،وقوله : ﴿ والأولاد ﴾ قال العونى عن ابن عباس ومجاهد **والضحاك** : يعنى أولاد الزنا . وقال **على بن أبى طلحة عن ابن عباس** : هو ماكانوا قتلوه من أولادهم سفاً بغير علم ، .

قال **قتادة عن الحسن البصرى** : قد – والله – شاركهم فى الأموال والأولاد مجسوا وهودوا وصبغوا على غير صبغة الإسلام وجزءوا أموالهم جزءً للشيطان ؛ وكذا قال قتادة سواء .

وقال **أبو صالح عن ابن عباس** : هو تسميتهم أولادهم عبد **الحارس وعبد الشمس وعبد فلان** . قال ابن جرير : وأولى الاقوال بالصواب ، أن يقال : كل مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله ، أو بإدخاله فى غير الدين الذى ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله ، أو وأده ، أو غير ذلك من الأمور التى يعصى الله بفعله به أوفيه ، فقد دخل فى مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه ؛ لان الله لم يخصص ، بقوله : ﴿ **وشاركهم فى الأموال والأولاد** ﴾ **معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصى الله فيه أو به او اطيع الشيطان فيه او به فهو مشاركة** .

وهذا الذى قاله متجه ، وكل من السلف رحمهم الله فسَّر بعض المشاركة فقد ثبت فى صحيح مسلم عن عياض ابن حماد أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « يقول الله ، عز وجل ، إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » .

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ ، قال : « لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتى أهله ، قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان أبداً » . .

قاعدة: اعرضوا السنة على الكتاب:

١٤٨و/ وأما ما رووا من الأحاديث فى الشيطان ، وما أكثروا الرواية فى ذلك عن النبى ، ﷺ ، وغيره **فما أمكن التأويل فى القرآن ، كان التأويل فى الأحاديث أجدر وأحرى، وليس كل حديث روى يجب أنه حق ، لما قد عرفنا من كذب كثير من الأحاديث مما يبطله القرآن** .

وقد قال ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم : **«ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق الكتاب فهو منى ، وأنا قلته ، وما خالف الكتاب ، فليس منى ولم أقله»**[1] .

وليس ينكر أن الشياطين تقارب الناس فى اسباب تدنوا منهم فى مواضع ولا سيما مع الفساق الفجار ؛ لأنهم من حيث لا يرونهم .

* * *

(١) روى الدارمى بسنده عن **أبى هريرة** ، قال : كان إذا حدث عن رسول الله ، ﷺ ، يقول : قال رسول الله ، ﷺ : «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». فكان ابن عباس إذاحدّث قال : «إذا سمعتمونى احدّث عن رسول الله، ﷺ، فلم تجدوه فى كتاب الله ، او حسناً عند الناس فاعلموا أنى قد كذبت عليه» ١ / ١٥٤ .

الحجة التاسعة

نقد المجبرة فى زعمهم إن الاستطاعة مع الفعل

ومن الحجة على أهل الجبر والقول بالاستطاعة مع الفعل ، أن يقال لهم : أليس أول الخلق آدم ، عليه السلام ، وأول من خالفه وعصى الله ، عز وجل ، فيه إبليس - الملعون ؟!

فإذا قالوا : بلى [1] .

قلنا لهم : فهل أمر الله ، عز وجل ، آدم بترك الشجرة [2] ، وقد علم أنه قادر على تركها ، أم علم أنه ليس بقادرٍ على تركها ؟ . .

فإن قالوا : علم الله ، عز وجل ؛ أن آدم لا يقدر على ترك الشجرة .

قلنـــا له : فهو إذاً قد كلفه ما لا يطيق ! . .

وقد قال الله ، عز وجل ، فى كتابه ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [3] و﴿ **إِلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾ [4] وهذا خارج من الحكمة والعدل أن يأمر بترك ما لا يقدر على تركه ، فقد بطل هذا الوجه وصح فساده .

وإن قالوا : إن الله ، عز وجل ، **أمر آدم بترك الشجرة ، وقد علم أنه يقدر على تركها** .

بطل ما اعتقدوا من الجبر ، ورجعوا عن قولهم ، وصار القول قولنا بالعدل ، ولزمهم أن كل شئ جاء من بعد آدم ، عليه السلام ، يجرى على ما قد خرج فى هذا الباب ، وأن كل جبر قالوا به يبطل كما بطل هذا .

* * *

---

(١) فى الأصل : بلا .

(٢) قال تعالى آمراً عبده ورسوله آدم ، عليه السلام ، وزوجه حواء : ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾** ﴾ البقرة ٣٥ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٤) سورة الطلاق آية ٧ .

وكذلك أمر الله إبليس بما يقدر على فعله فعصاه :

وكذلك إبليس نقول فيه : أليس قد أمر الله ، عز وجل ، إبليس بالسجود لآدم[1]؟

فإن قالوا : بلى :

قلنا لهم : هل أمره بما يعلم أنه يقدر عليه ، أو بما علم أنه لن يقدر عليه ؟!.

فإن قالوا : أمره بما علم أنه لا يقدر عليه .

أكذبوا القرآن وردوا عليه قوله ، عز وجل ، ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [2] ، و﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [3] ، وإبليس مأمور منهى ، وهذا خارج من العدل والحكمة ، ولزم فيه ما لزم فى آدم ، عليه السلام .

وإن قالوا : بل علم الله ، عز وجل ، أنه قادر على السجود .

رجعوا عن قولهم ، وصاروا إلى قولنا بالعدل ، وبطلت دعواهم فى جميع الجبر .

* * *

الاستطاعة قبل الفعل :

ولزمهم – أيضا – فى هذا الباب أن الاستطاعة قبل الفعل [4] ؛ لأن الله عز وجل ، ١٤٨ط/ فى / عدله وحكمته لا يكلف نفساً إلا ما آتاها ، نطق بذلك الكتاب وشهدت به رسله .

---

(١) هناك اجتهاد فى مفهوم السجود هل كان لآدم ، أم لله شكراً على خلقه آدم بعد أن جادل الملائكة ربهم فى أمر خلقه – وقد علموا ما سيكون منه ومن ذريته – فجاء هذا السجود خضوعاً وطاعة وامتثالاً لأمر ربهم – وإعلاناً منهم أن له أن يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء لا شريك له فى خلقه ولا أمره فعصى إبليس أمر ربه بالسجود له – ظناً منه أنه ميّز من هو أقل شأناً عليه !.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ . (٣) سورة الطلاق آية ٧ .

(٤) انظر القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ؛ ص ٣٩٠ وما بعدها . قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا ﴾ آل عمران / ٩٧ .. هذا فى الحج . وقال : ﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ المجادلة / ٤ . وهذا فى كفارة الأيمان من الظهار .. وقال : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧) ﴾ الاعراف / ١٩٧ .. ولو استطاعوا لنصروهم ؛ وقال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ الأنفال / ٦٠ .. وهذا فى الجهاد فإعداد العدة قبل القيام بمنابذة الأعداء ومواجهتهم وغير ذلك كثير .. فالاستطاعة قبل الفعل ، وهى عرض يحل فى النفس يستشعر به المرء قدرته على القيام بفعل دون غيره .

لقد أعطى الله آدم استطاعة يقدر بها على الفعل:

فإن قالوا : قال مخالفونا : إنه أمر آدم بترك أكل الشجرة من قبل أن يعطيه الاستطاعة التى يقدر بها على الترك ، لزمهم أنه قد أمره بأمر هو خارج من طاقته ، وأنه قد كلفه (ما ليس فى) [1] وسعة ، وانتقض قوله : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [2] ، و ﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [3] .

ولزمهم أنه قد دانوا بإبطال القرآن ، وهو حجة الله التى لا ترد ولا تبطل ، وإن قالوا: **إنه أمره بترك الشجرة (و) [4] ركّب فيه الاستطاعة قبل الفعل .**

رجعوا إلى القول بالعدل ، وكذلك يلزمهم فى إبليس قبل ذلك سواء سواء [5] .

* * *

وكذلك أعطى الله إبليس استطاعة :

فنقول لهم : أخبرونا هل أمر الله ، عز وجل ، إبليس بالسجود لآدم وهو قادر على السجود ، أم أمره بالسجود لآدم وهو لا يقدر على السجود ؟!

فإن قلتم : أمره بالسجود لآدم وهو لا يقدر عليه .

ألزمتم الله ، عز وجل ؛ أنه كلف غير الطاقة وخرج فى ذلك من العدل والحكمة ، ولزم إبطال كتابه ؛ إذ يقول سبحانه ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [2] ، و﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [3]، وهذا كفر من قائله ، وهلك عند الله، عز وجل ، من دان به ، وافتضح – عند السامعين – من اعتقده .

وإن قلتم : إنه ، عز وجل ، أمر إبليس بالسجود لآدم ، وهو يعلم أنه قادر على ما أمره به .

---

(١) زيادة ليست فى الأصل

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٣) سورة الطلاق آية ٧ .

(٤) زيادة ليست فى الأصل .

(٥) تركيب لغوى كان معروفاً فى هذا العصر ويقابله فى عصرنا ما اشتهر على السنة الناس : « سواء بسواء » .. او « مثلاً بمثل » والمقصود تساوى الشيئين وتماثلهما فى الفعل أو تطابقهما فى الوصف .

لزمكم أنكم قد رجعتم عن قولكم ، وصرتم إلى قولنا بالعدل ، وأن الاستطاعة قبل الفعل ؛ وهذا يلزمكم فى جميع الأمور كلها ، التى هى من هذا الجنس من بعد آدم، عليه السلام ، ومن بعد إبليس ، فهو لازم فى جميع ما ادعيتم من الجور ، والقول بالاستطاعة مع الفعل إلى يوم القيامة ، وهما كانا أول من أُمر ونُهى ، فما لزم فيهما ، لزم فيما يأتى بعدهما إلى يوم القيامة .

وهذا أصل قوى فاثبت عليه ، وخذهم به وضيِّق عليهم ؛ فإنهم لامخرج لهم منه أبداً ؛ لأن الحق لا يُغلب ولا تبطل حججه ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

ذهبت المجبرة إلى أن الشيطان سبب كفر الإنسان

ومما يحتجون به قول الله ، عز وجل ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (١) .

لهذا يخرج على ثلاث معان :-

١- واحد منها : أنه يجوز أنه عنى (٢) شيطان الجن ، وماكان من خديعته لآدم ، عليه السلام ،

٢- والآخر : أنه يجوز أن يكون شيطان الإنس أيضا .

٣- والثالث : الهوى وهو أشرها على بني آدم (٣) .

* * *

الأمثال فى القرآن ومقاصدها :

١٤٩و/ وقد قال ، عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٤) فأخبر أنه قد ضرب أمثالاً لا يعقلها إلا أهل العلم بها (٥) ، وليس يجوز قولهم فى الوسوسة على أحد له أدنى عقل ، إذ لا حجة معهم توجب قبول ذلك ممن (٥) خالفهم . والدليل على الخلق الاضطرار إلى قبوله ، وليس معهم فى الوسوسة حجة تضطر أحداً إلى قبولها ، فافهم هذا الباب وأحسن فيه النظر ، إن شاء الله .

* * *

---

(١) سورة الحشر : آية ١٦ .

(٢) فى الأصل : عنا .

(٣) يقول الزمخشرى : « كمثل الشيطان » إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة ، والمراد استغواؤه قريشاً يوم بدر، وقوله لهم : ﴿ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ ﴾ الأنفال / ٤٨ - انظر الكشاف ، ٤ / ٥٠٧ . أما تفسير تنوير المقباس فقد ذكرانه ﴿ كمثل الشيطان ﴾ مثل المنافقين مع بنى قريظة حيث خذلوهم أو كمثل الشيطان مع الراهب ؛ ص ٤٦٥ .. وبذلك فسرها ابن كثير ٤ / ٣٦٠ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٣ .

(٥) يقول ابن كثير فى تفسيرها : « أى وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون فى العلم المتضلعون منه » ، وروى أحمد فى مسنده بسنده إلى عمرو بن العاصى ، رضى الله عنه ، قال : عقلت عن رسول الله ، ﷺ ، ألف مثل .. وعنه قال : « ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزننى ، لانى سمعت الله ، تعالى ، يقول : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ؛ ٣ / ٤٥٦ .

(٦) فى الأصل : مما ..

تزعم المجبرة أن إبليس قادر على نسيان الإنسان:

ومما يحتجون به فى تقوية إبليس الضعيف - عليه لعنة الله - وتعظيم قدرته على وسوسة قلوب بنى آدم ، إذ زادوا - مع الوسوسة - أنه **يقدرأن ينسى** الخلق عن شؤنهم ويذهلهم عن حوائجهم ، حتى ينسوا ما يحتاجون إليه ، ويذهلوا عن ما لا غنى بهم عنه !

* * *

يجب النظر والتأويل وتنزيه القرآن عن التناقض:

واحتجوا بقوله ، جل ثناؤه ، فى ذلك بقصة موسى ، عليه السلام ، وفتاه إذ قال: **﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾** [1] **فهذا قول يحتاج إلى جودة النظر ، وتنزيه القرآن عن الاختلاف** والتناقض .

ونحن نقول - لمن خالفنا :

أليس قد قال الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] **؟!..**

* * *

شيطان الإنسان نفسه وهواه:

قاى سلطان أقوى من أنه يقدر أنما ينسى الصالحين الطاهرين عن مصالحهم ومر أفقهم ، مع ما أدعيتم له من القدرة على الوسوسة [3] !.، وهذا ما لا يجوز ؛لأنه قد

---

(١) سورة الكهف آية ٦٣ ... ولابن مسعود فى هذه الآية قرآه هى ﴿ .. اذكركه ﴾ . (٢) سورة الإسراء آية ٦٥ .

(٣) وتامل ما يلى :

١- قال تعالى : ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سورة يوسف ٤٢ ، يقول ابن كثير : فنسى الموصى ان يذكر مولاه الملك بذلك ، وكان من جملة مكائد الشيطان لئلا يطلع نبى الله من السجن ، هذا هو الصواب ان الضمير فى قوله ﴿ فانساه .. ﴾ عائد على الناجى ، كماقاله **مجاهد ومحمد بن إسحاق** وغير واحد .

ويقال : إن الضمير عائد على **يوسف ، عليه السلام** ، رواه **ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا** ، وعكرمة وغير واحد ٢ / ٥٢٦ .

وهذا الاتجاه يسلم ان للشيطان قدرة على ان ينسى الإنسان ، وهو كلام فى منتهى الخطورة ، لأنه يهدم التوحيد، ويلزمهم تناقض آيات الله ،فقد نسبوا للشيطان قدرة مساوية لخالقه على الفعل ، وهو باطل شرعاً وعقلاً .

٢- وقال تعالى : ﴿ . وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ سورة الأنعام ٦٨ .. انظر ابن كثير ٢ / ١٦١

جاء فى الأخبار أن موسى وفتاه ، عليهما السلام ، إنماكان خبرهما ان شيطاناً من شياطين بنى آدم ، أراد قتلهام ، واغرى الظالمين ، فلزمهما خوفه ان ينسيا حوتهما .

فهذا الذى جاء به الأخبار ، وليس لإبليس - ولا كرامة - قدرة يقوى بها على ان يوسوس فى الصدر ، وينسى الأمور ؛ لان هذه القدرة لا يقدر عليها إلا اللطيف الخبير .

والدليل على ذلك قوله ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[1] فقد نسب لله ، عز وجل ، الوسوسة إلى النفوس ، فى هذا الموضع ، فلمَ جعلتم كل ذلك إلى إبليس دون ما ذكر الله ، عز وجل ، الا قلتم : إن بعض ذلك من النفس وبعضه من إبليس !! . .

وليس باعجب من تركككم لشياطين بنى آدم أن تضيفوا إليهم من افعالهم شعرة واحدة! . .

فإذا كان الله ، عز وجل ، أقرب إلى عبده من حبل الوريد ، وأخبرنا بذلك ، **دلالة منه لنا** ١٤٩ ط/ **على وحدانيته وعظيم قدرته وعلو شانه ، ولطائفه التى لا يقدر عليها أحدٌ** غيره/ ثم جعلتم لإبليس الذليل الضعيف من القرب إلى العباد مثل قرب رب العالمين !!

* * *

ما الفرق بين القدرتين فى زعمكم ؟

وإبليس - على قولكم - أقربُ فى الوسوسة إلى قلوبنا من حبل الوريد والله ، عز وجل ، أقرب إلى قلوبنا من حبل الوريد ، فما الفرق بين القدرتين ، وما الفصل بين المنزلتين ،وما فضل الواحد القادر على العبد الضعيف الكافر ؟! . . بقوم جعلوا لإبليس هذه المنزلة وناظروا عليها ، ولا سيما من ادعى أنه موحد غير ملحد وكان اعتقاده - زعم - الذى يدين بهانه

- ٣- وقال تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ سورة المجادلة ١٩ ، يقول ابن كثير : «أى استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى انساهم أن يذكروا الله ، عز وجل ، وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه ، ولهذا قال ابوداود : بسنده عن ابى الدرداء قال : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول :«ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لاتقام فيهم الصلاة ، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليك بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» ٤ / ٣٤٦ .
والصواب فى هذه الآيات ما قاله الإمام أحمد ، إذ إن الشيطان انساهم لما فعلوا كفعله ووافق مرادهم ، أو هذه الشياطين من الإنس الذين يوافقونهم على هواهم ، أو ان هذا الشيطان هو المعول عن الحق واتباع الهوى والنفس ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ سورة يوسف آية ٥٣ ، والله أعلم .

(١) سورة ق آية ١٦ .

الله ، عز وجل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .. ﴾ [1] أفليس قولكم هذا يوجب أنمثله شئ ، سبحان الله العظيم ! . .

ما أقبح هذا من قول ، وأضل قائله عن التوحيد ، وأميله عن الطريق ، فالله المستعان .

* * *

ماتقوله المجبرة قدح فى التوحيد :

فكذلك يلزم من قال بالعدل ؛ ثم زعم أن الله سلط إبليس على خلقه ، فقد رجع عن الحق وانتقض قوله .

وللقرآن العظيم معانى جهلها أكثر الناس وغلطوا فى تأويلها ، مثل قولهم أن فى الجن أنبياء منهم مرسلين إليهم .

واحتجوا بقوله ، عز وجل ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [2] فذهبوا إلى أن الرسل من الفريقين جميعاً .

* * *

الرسل لا تكون إلا من الإنس :

وقد قال فى ذلك أهل العلم والتأويل ، ليست إلامن الإنس خاصة ، وشاهد ذلك أن آخر الرسل **محمد بن عبد الله بن عبد المطلب** ، صلوات الله عليه ، وهو خاتم النبيين من الله ، عز وجل ، قد أعلمنا أنه رسول إلى الجن ، حيث قال : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) ﴾ [3] .

فهذا يدل على إقرارهم بنبوة **موسى ومحمد** ، صلى الله عليهما ، وأنهما لهم نبيان ،

---

(١) سورة الشورى آية ١١ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٣٠ .

(٣) سورة الاحقاف الآيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

ولم يذكر أن لهم نبياً من أنفسهم ، قوله ، عز وجل : ﴿ **ألم يأتكم رسل منكم** ﴾ **يجوز فى لغة العرب ، التى يخاطب بها الجميع بالشئ الذى هو فى البعض دون الكل** [1] .

ومثل ذلك أنه لو كانت رجال **عدنان وقحطان** مجتمعة جميعاً فى موضع واحد ، وهم ١٥٠و/ العرب المعرفون بالعربية ، / فقال لهم رجل من الهند أو من الروم أو من غيرهم : يامعشر العرب أليس محمد ، ﷺ ، منكم ؟.. جاز لهم أن يقولوا : نعم ، محمد منا . إذ هم العرب ، وقد علموا أنه من مُضر خاصة دون سائر القبائل .

ومن الحجة أيضا قول الله ، عز وجل ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾** ﴾ [2] ، وقد علمت العرب والعجم أن اللؤلؤ والمرجان لا يخرج إلا من أحد البحرين دون الآخر [3] ؛ وقد قال الله ، عز وجل ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾** ﴾ [4] ، وليس يخرج ذلك إلا من أحدهما دون الآخر . فافهم هذا الباب ، إن شاء الله .

* * *

جُعْلُ حكم وتسمية :

وأما قوله – عز وجل : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [5] ، فهذا جعل حكم وتسمية لا جعل جبر ، وقد قال الله ، عز وجل ، فى قصة إبراهيم ، ﷺ ، حيث قال : ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾** ﴾ [6] .

فقال القائل : أليس هو الآن وليا للشيطان ؟!

قلنا : بلى ، ولكنه عنى به أن يكون قريناً له فى نار جهنم .

* * *

---

(١) عقد ابن قتيبة باباً سماه « مخالفة ظاهر اللفظ معناه » ، ص٢٧٥ ، وما بعدها .. ذكر فيه : « ومنه أن يجتمع شيئان ، ولاحدهما فعلٌ فيجعل الفعل لهما : كقوله سبحانه : ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا** ﴾ سورة الكهف / ٦١ ، وقوله . ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ..** ﴾ سورة الانعام / ١٣٠ ، والرسل من الإنس دون الجن ، ص٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٢) سورة الرحمن الآيات من ١٩ : ٢٢ .

(٣) انظر ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ، ص٢٨٧ ، وابن فارس : الصحابى ؛ ص٣٦١ .

(٤) سورة الرحمن آية ٢١ .

(٥) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٦) سورة مريم آية ٤٥

الإنس تفعل فعل إبليس وتعصى الله كعصيانه :

وما احتجوا به قول الله ، عز وجل ، يخبر عن إبليس يوم القيامة حيث قال : ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)** ﴾ [١] .

وقد يخرج هذا القول [٢] ، والله أعلم ، أنه عنى بذلك من مال إلى المعاصى والخطايا كميله وفعل كفعله ، ومثل ذلك قول الله ، عز وجل ، فى قوم من بنى إسرائيل حيث خاطبهم بفعل غيرهم ؛ ﴿ **فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ** ﴾ [٣] ، وهم لم يقتلوا أنبياء الله ، وإنما الذين قتلوهم أباؤهم ، وكانوا راضين بفعل أبائهم ، فالزمهم ، عز وجل ، مارضوا به وصاروا إليه ، من اتباعهم لأبائهم على سنتهم وكفرهم ، فسماهم قاتلين للأنبياء ، صلى الله عليهم، وهم لم يقتلوهم فعلا .

هذا يخرج قول إبليس لهم إذ كانوا على سنته ومنهاجه وطاعته فى مراده . **وهذا يخرج على التوقيف لهم والتقريع .**

وأما قوله : ﴿ **إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ** ﴾ [٤] فهذا على أنه عنى بذلك آدم وحواء ، عليهم السلام ؛ إذ شاركاه فيما حكى الله ، عز وجل ، عنهما إذ قال ﴿ **فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا** ﴾ [٥] ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ **إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ** ﴾ [٦] فهذا يخرج على ما ذكرت [٧] لك .

فافهمه ، أرشدك الله ووفقك .

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٢) يذكر ابن قتيبة أن ما يحدث من الشيطان للإنسان يحدث بالدعاء والوسوسة . ١ /٣٤٨ - ٣٤٩ ، وهو يصح إن توجه لشياطين الإنس .

(٣) سورة البقرة آية ٩١ .

(٤) سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٥) سورة الاعراف آية ١٩٠

قال « المفسرون » في قوله عز وجل : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩)** ﴾ سورة الأعراف ١٨٩ .

إن « حواء » لما أثقلت أتاها « إبليس » فى صورة رجل ، فقال لها : ما هذا الذى في بطنك ؟ وذلك أول حملها ، فقالت : ما أدرى .

زعمت المجبرة أن لكل إنسان شيطان يغويه :

وقد ادعى من ادعى من مخالفينا ان لكل إنسان من بنى آدم شيطان يغويه موكّل به[1]، لما أنكرنا عليهم أن إبليس يذل ويقل ويضعف ، عن ما ادعوا من إغوائه للخلائق فى البر والبحر والشرق والغرب ، فقالوا : إنما له أعوان يغوون له الناس !

وقد أجمع معنا ، من تكلم فى هذا الباب من أهل القول بالعدل ، **أن الجن خلقوا ضربة واحدة ويموتون ضربة واحدة** . فلزمهم ها هنا أن من مات من بنى آدم فقد بقى شيطانه بلا شغل ولا عمل!..

وقد زعموا أن لكل إنسان شيطاناً لابد منه ، وليس كذلك أخبرنا الله ، عز وجل ، أنه خلقهم ، وإنما أخبرنا أنه خلقهم للعبادة لا للمعصية ؛ فأوجب من خالفنا أن ليس لهم عمل إلا الإغواء !..

= فقال لها : أرأيت إن دعوت ربى فولدته إنساناً أتسمينه بى ؟

فقالت نعم

وقالت هى وآدم : ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

أى : لئن خلقته بشراً مثلنا ولم تجعله بهيمة . فلما ولدته آتاها « إبليس » ليسألها الوفاء ، فقالت : ما اسمك ؟ قال : « الحارث » ، فتسمى بغير اسمه ، ولو تسمى باسمه لعرفته ، فسمته « عبد الحارث » ، فعاش أياماً ثم مات ، فقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ الأعراف ١٩٠ .

وإنما جعلا له الشرك بالتسمية لا بالنية والعقد .. وقال الطبرى : فى « الاسم لا فى العبادة » .. انظر ابن قتيبة ، ص٢٥٨ ، ٢٥٩، والطبرى التفسير ؛ ٩ / ١٠١ .

(٦) سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٧) ذكر ابن قتيبة فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » ، ص ٢٥٦ ، وما بعدها باباً فى « الكناية والتعريض » قال فيه : « الكنايةُ أنواع، ولها مواضع ، فمنها أن تكنى عن اسم الرجل بالابوة ؛ ليزيد فى الدلالة عليه إذا أنت راسلته أو كتبته إليه ؛ إذ كانت الأسماء قد تتفق . أو لتعظيمه فى المخاطبة بالكنية ، لأنها تدل على الحنكة ، وتخبر عن الاكتهال » .

(١) روى مسلم عن أبى سفيان عن جابر قال سمعت النبى ، ﷺ ، يقول : « إن الشيطان قد آيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ، ولكن فى التحريش بينهم » ، ١٧ / ١٥٦ ؛ وكذلك رواه أحمد والترمذى ، انظر السيوطى : الجامع الصغير ؛ ١ / ٨٢

وعن جابر قال سمعت النبى ، ﷺ ، يقول : « إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة » .

وعن جابر أيضا قال : قال رسول الله ﷺ يقول: « إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة . يجئ أحدهم ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئاً ، قال : ثم يجئ أحدهم فيقول : ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال : فيدنيه منه ، ويقول : نعم أنت ، قال الأعمش : أراه قال : فيلتزمه » .

وروى كذلك أنه سمع النبى ، ﷺ ؛ يقول : « يبعث الشيطان سراياه فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة » .

فقد لزمهم أن من مات بقى شيطان بلا شغل ، وأن من كان يوسوسه وينال من قلبه ، مثل قدرة رب العالمين ، قد مات وفرغ وبقى بلا شغل ، وهذا فساد ولا يجوز .

ونحن من بعد هذا كله نقول لهم إن جاءوا بحجة قاهرة ودلالة باهرة ، تشهد عليها عقولنا ، وعقول من سمعها من غيرنا ، سلمنا لهم .

وإن لم يأتوا بحجة توجب لهم علينا أن لإبليس اللعين الذليل الضعيف ، قدرة أقدره الله، عز وجل ، كقدرته هو – تبارك وتعالى – الذى لا يقدر على مثل قدرته أحد غيره ، فالقول قولنا والحق معنا دونهم ، وليس قولنا هذا لشك داخلنا ، ولا يجوز أنهم يأتون بحجة[1] .

***

منهج الإمام أحمد فى الإنصاف كمنهج الإمام على ، كرم الله وجهه :

وإنما قلنا هذا من طريق الإنصاف ، كقول أمير المؤمنين **على بن أبى طالب** ، صلوات الله عليه ، إذ غلبته أصحابه ومالوا إلى تحكيم الحكمين ، فلما عزموا على ذلك، وهو له كاره ، قال : فأما إذا عزمتم على إسالهما فيذهبا فيحكما بكتاب الله ، عز وجل ، فإن وجدا **معاوية** فى القرآن أولى بالمقام منى فليسلما له ، وإن وجدانى فى القرآن أولى من **معاوية** فليسلما لى .

فاحتج عليه **الخوارج**[2] بهذا الكلام ، وقالوا : قد شككت فى نفسك فنحن فيك أشد شكاً .

---

(١) روى مسلم كذلك فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال ؛ قال : رسول الله ، ﷺ ، : «ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن ، قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال : وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فاسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير» .

وقد علقنا على هذه الأحاديث فى الدراسة .. وبينا معانيها من حيث الحقيقة والتاويل ، ومن حيث العقيدة والخرافات الشعبية أو الأساطير والروايات الموروثة .

(٢) **الخوارج** : فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، وهم سبع : **المحكمية والبيهسية والأزارقة والنجدات والصفرية والإباضية والعجاردة** .

ومن عقائدهم تكفير مخالفيهم من أهل القبلة ، ومواراتهم وقتالهم وغنيمة أموالهم حلال .

كما قالوا بتكفير الرعية إن كفر إمامها ، الغائب منهم والشاهد وأوجبوا قتاله ، وتوقيع الحد عليه ، وعلى من رضى بحكمه ، أو طعن فى دين الخوارج ، أو صار دليلاً للسلطان . وجوزوا التقية فى القول والعمل ، والتوقف فى دار التقية فلا يقاتل أهلها حتى يدعوا إلى دين الخوارج ، فإن امتنعوا قوتلوا .

وعدوا خروجهم من ديار أهل القبلة هجرة ، وأنها فرض وفضيلة ، وتبرأوا ممن يرجع من دار الهجرة إلى القعود ، وجوزوا قتل القاعدين عن حرب الذين كفروهم .

فقال لهم ، صلوات الله عليه : إنما قلت هذا من طريق الإنصاف . وقد قال الله ، عز وجل ، لنبيه ، الله ؛ ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (١) .

وقد علم ، صلوات الله عليه ، أنهم لا يأتون بكتاب أهدى من كتابه أبداً ، وإنما ١٥١و/هذا لحد الإنصاف .

فافهم / ما شرحنا لك ؛ من الاحتجاج فاعمل فيه نظرك .

واعلم أن ليس مع أحد من الخلق حجة قاطعة ، يلزمنا بها إيجاب قدرة إبليس على الوسوسة في صدور الخليقة ، ولا يقع على كيفية ذلك ولا على تحديده وتوصيفه أحد أبداً (٢) .

إلا الدعوى التى لا تقوم ولا تقع عليها الأوهام ، بل تشهد عليهم بالإلحاد فى صفة الله ، عز وجل ، فلا يبعد الله الا من ظلم ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) سورة القصص آية ٤٩ .

(٢) الوسوسة في حق آدم وحواء حقيقة ، وفى حق أبنائه وذريته مجاز قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا ﴾ سورة الاعراف ٢٠ ، وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ سورة طه ١٢٠ .. ويلاحظ أنه ، تعالى ، ذكر وسوسته للزوجين فى الآية الاولى ، ولآدم منفرداً فى الثانية ؛ وذلك لان إغراءات الغريزة تجمعهما فى الاولى ، وفى الثانى لا يطمح إلى إغراءات الخلود سوى الرجل، فذكره ، تعالى ، منفرداً ؛ لانه لم يحدث إلا له وحده ، والله أعلم .

(٣) سورة الشعراء آية ٢٢٧ . .

الحجة العاشرة

هل قدرة إبليس أكثر من قدرة الملكين الموكلين ؟

ومن الحجة عليه أن نقول لهم : أخبرونا أيهما أولى فى حكمة الله ، عز وجل ، وحسن فعله ورحمته لعباده وبفضله عليهم ، وقوله ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ [١] حيث أقدر إبليس - زعمتم - بإقدار الله ، عز وجل ، له ، ثم وكل على كل عبد ملكين [٢] يكتبان الحسنات والسيئات ، وليس لهما من القدرة على القلوب، فلا على إجراء الخواطر فى النفوس ، مثل ما أقدر عليه إبليس العاصى اللعين المعاند ؟!..

أفليس كان أولى به [٣] ، عز وجل ، أن يجعل لهذين الملكين المؤمنين الطاهرين من القدرة ما يلقيان فى قلوب بنى آدم . من الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ما يردعهم عن الخطأ ، ويكون لهم فيه موعظة تكسر عنهم وسوسة إبليس ، فيكون ذلك أثبت للعدل ، وأدنى إلى الرأفة والرحمة ، ولا يفضل إبليس عليهما بهذه المنزلة التى هى أرفع من منزلتهما ؛ لأنهما لا يقدران على الخواطر فى النفوس ، وإنما يكتبان ما ظهر لهما ، وأقدر إبليس على ما لم يقدرا عليه ، وهما ملكان وليان لله ، عز وجل، وإبليس عدوٌه ؟!!..

* * *

لازم مذهب المجبرة :

وهذا يوجب عليكم أنا لم نؤت ذنوبنا إلامن قبل من أقدره (الله) [٤] على الشر

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥ ، وقد جاءت فى الاصل ﴿ يريد بكم .. ﴾ وهو خطأ .

(٢) روى الإمام أحمد بسنده عن بلال بن الحارث المزنى ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ، تعالى ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله ، عز وجل ، له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، تعالى ، ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله ، تعالى عليها بها سخطه إلى يوم يلقاه » قال الترمذى حسن صحيح وله شاهد فى الصحيح . فقال الأحنف بن قيس : صاحب اليمين يكتب الخير وهو امين على صاحب الشمال ، فإن أصاب العبد خطيئة . قال له : أمسك ، فإن استغفر الله ، تعالى ، نهاه ان يكتبها وإن أبى كتبها . رواه ابن أبى حاتم . انظر ابن كثير فى تفسيره ٤ / ٢٣٦ .

(٣) فى الأصل : اولا

(٤) زيادة ليست في الأصل .

والضر ، ولم يقدر الملكين على الخيروالنفع ! . . سبحان الله العظيم ، ماأعظم ما جئتم به، فنعوذ بالله من الجهل بتوحيده وعدله ، واتباع الهوى فيما خالف كتابه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

الجن خلقوا مرة واحدة ويموتون مرة واحدة :

وأما قوله ، عز وجل ، : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي ﴾ (١) ، فالذرية إنما هم الأولياء فى هذا الموضع ؛ لأنه لا نسل له ، وقد قال ، عز وجل ، لجميع المسلمين ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (٢) يجمع بينهم الناس كلهم ، وسماه أباً لهم ، وليس هو أباهم على الولادة ؛ لأن ولد إبراهيم ، ﷺ ، خاصة يعرفون بولادته، وإنما هو أب المسلمين فى الدين لا فى الولادة .

١٥١ط/ وكذلك قال فى قول لوط ، ﷺ : ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي ﴾ (٣) يعنى بناته فى الدين / لا فى الولادة ، ورووا أنه لم يكن له بنت (٤) .

* * *

كان العرب يعرفون معانى القرآن وتأويله :

وللقرآن معانى تحتاج إلى التأويل والمعرفة باللغة التى خاطب الله ، عز وجل ، بها رسوله ، صلوات الله عليه ، وخاطب بها رسول الله ، ﷺ ، العرب الذين عرفوا عنه ما تلا عليهم ، ولم يخف عليهم من ذلك حرف واحد فى التلاوة ولا فى التأويل ؛ لأنه لوعى عليهم حرف واحد ؛ لقالوا : هذا حرف لا نعرفه فى اللغة العربية ، ولو جهلوا

---

(١) سورة الكهف آية ٥٠ .

(٢) سورة الحج آية ٧٨ .

(٣) سورة هود آية ٧٨ – سورة الحجر آية ٧١ .

(٤) قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة هود / ٧٨ . . أرشدهم ، عليه السلام ، إلى نكاح نسائهم فالنبى لأمته بمنزلة الوالدلهم جميعاً ؛ فأرشدهم إلى ما هو انفع لهم فى الدنيا والآخرة . . ﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ سورةالحجر / ٧١ . قال مجاهد : لم يكنّ بناته ، ولكن كن من أمته ، وكل نبى أبو أمته ، وكذا روى عن قتادة وغير واحد . ابن كثير ، ٢/٤٩٦ .

شيئاً من القرآن لم تلزمهم به حجة . وقد قال الله ، سبحانه : ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [1] .

والجن لا يناكحون ولا يتناسلون ، وإنما خلقوا ضربةً ويموتون ضربةً ؛ والدليل على ذلك ما احتججنا به ، على من زعَم أن الجن يحتاجون فى كل عصر وزمان إلى إمام هدىً ، وأنه يُلزمنا أن نقول : لابد لهم فى كل عصر من إمام يقيم لهم الدين ، ويفزعون إليه ، كما يفزع الناسُ إلى الإمام فى كل عصر وزمان .

فكان الردُّ ، على من ادعى هذا ، **أن قلنا** : إنما خلقوا ضربةً ، وليس فيهم تناسل ، والدين ، الذى أخذوا عن محمد ، صلوات الله عليه ، هو الدين المفروض عليهم لا يحتاجون بعد محمد ﷺ [1] إلى أحد بعده ؛ لأنهم أخذوه جملة وهم أحياء لا اختلافَ بينهم ولا فُرقة ، وهم على ما تركهم عليه ، صلوات الله عليه ، فمن أراد أن يبدل أو يغير فذلك إليه ، لأنهم مخيرون مجبورين ، والسلام .

واعلم – أكرمك الله – أن جوابنا هذا فيه الرد على فرق شتَّى ؛ لأن فيه الرد على **المجبرة** ، وعلى من قال **بوسواس إبليس** ، ممن يدعى القول بالعدل ؛ والرد – أيضا – على من **يدعى القول بالتوحيد** ثم أوجب لإبليس كقدرة الله ، عز وجل ؛ **والرد على من قال بالاستطاعة مع الفعل** ، فهو على ضروب شتى .

فافهم ما فى كل ذلك بعينه ولاتدخل شيئا منه فى شئ ، فإنك تفهم ذلك كله عند تدبره وقراءته ، إن شاء الله .

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ،
وصلى الله على رسوله محمد بن عبد المطلب ، نبى الرحمة ،
وسراج الأمة ، وعلى آله [2] ***وسلم تسليماً***

* * *

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٦ .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) فى الأصل : وعلى آله وأهله ..

ثانياً: النص: **صفحة**

- حكاية موقف الناس من إبليس ٢٧٧
- قواعد منهجية ينبغي تقريرها ٢٨١
١- الحجة الأولى : في إبطال قدرة إبليس على الإغواء ٢٨٧
- هل إبليس مخير أم مسير ؟ ٢٨٨
٢- الحجة الثانية : إبليس لا يعد أحداً أو يمنيه ٢٩١
- أدوات المعرفة ٢٩٢
- إدراك التكليف شرط من شروط قبوله ٢٩٦
- أثر اللغة ومعانيها في فهم القرآن الكريم ٢٩٨
- المثل في القرآن الكريم للتفهيم والتقريب ٣٠٥
٣- الحجة الثالثة : الله لا يفعل الجور ولا يضل ولا يصد العباد عن الرشاد ٣١٣
٤- الحجة الرابعة : قال السامري : سولت لي نفسي ٣١٧
٥- الحجة الخامسة : تروى المجبرة كثيراً من الأكاذيب عن الجن أو منهم ٣٢١
٦- الحجة السادسة : إبليس الإنسان هواه ٣٢٥
- القرآن لا يتناقض وكل معنى متشابه له تاويل ٣٢٨
- نقد المجبرة في دعواهم أن إبليس يجري مجرى الدم ٣٢٩
٧- الحجة السابعة : المقلوب من الكلام في اللغة ٣٣٥
٨- الحجة الثامنة : القول بأن إبليس يشاركنا أفعالنا يعني سقوط العدل ٣٣٧
- عرض السنة على الكتاب ٣٣٩
٩- الحجة التاسعة : نقد المجبرة في زعمهم أن الاستطاعة مع الفعل ٣٤١
- الاستطاعة قبل الفعل ٣٤٢
- يجب النظر والتاويل وتنزيه القرآن عن التناقض ٣٤٦
١٠- الحجة العاشرة : هل قدرة إبليس أكثر من قدرة الملكين الموكلين ؟! ٣٥٥
الفهارس ٣٥٩
١- فهرس الآيات ٣٦١
٢- فهرس الأحاديث ٣٦٩
٣- فهرس الآثار ٣٧٣
٤- فهرس الأعلام ٣٧٥
٥- فهرس الطوائف والقبائل والفرق ٣٨٩
٦- فهرس الدول والأماكن والأحداث ٣٩٥